ثقافة الهند

Vol. XLIV Nos. 2-4 1993

المجلد ٤٤ العدد (٢ ـ ٤)

١٩٩٣م



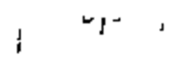
المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤١ العدد ٢

١٩٩٢م





المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بهوان، نيو دلهي

الهند

عزيزي القارئ

مازلنا نبذل جهدا متواصلا في وسعنا لأن نوفر لكم مجلة **ثقافة الهند** بلا مقابل، ولكن مما يؤسف له أن تكاليف الطباعة قد ارتفعت ارتفاعا هائلا، مما جعلنا مضطرين لأن نحدد مبلغا معقولا كسعر للاشتراك في المجلة، لكي يمكننا الاستمرار في تزويدكم بالأعداد المقبلة للمجلة حسب هذا المستوى العالي، ونرجو منكم أن تقدروا هذا الوضع الجديد وتواصلوا دعم المجلة.

وسعر الاشتراك الذي يصبح نافذ المفعول بدءا من العدد الأول للعام المقبل ١٩٩٤ كما يلي:

سعر النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك لثلاثة أعوام
٢ روبية هندية	١ روبية هندية	٢٥ روبية هندية
١ دولار أمريكي	٤ دولار أمريكي	١ دولار أمريكي
١ جنيه استرليني	١٦ جنيها استرلينيا	١ جنيها استرلينيا

كما نرجو ملاحظة الأمور التالية:

١- يجب دفع الاشتراك مقدما، والأفضل أن يرسل بواسطة حوالة بنكية أو حوالة بريدية باسم المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، دلهي الجديدة
٢- الاشتراك يشمل مصاريف البريد، أما ما يخص البريد الجوي فيكون على نفقة المشترك
٣- أما الشعب الطلابية فيستحقون خصم ٦ في المائة
٤- الطلاب والمؤسسات والمكتبات العامة تستحق خصم ١ في المائة

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٦ لتنشيط وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وكجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافي بين الهند والبلدان الأخرى ينشر المجلس إلى جانب هذه المجلة مجلات في الإنجليزية Indian Horizons و Africa Quarterly وفي الفرنسية Rencontre Avec l'Inde وفي الإسبانية Papeles de la India وفي الهندية Gagananchal كلها تصدر أربع مرات في السنة.

نشرها وطبعها السيد [illegible] نيابة عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بهاون، نيو دلهي، الهند
طبعت في مطبعة [illegible] نيو دلهي ١٦ ١١

رئيس التحرير: البروفسور مختار أحمد الفاروقي

مجلـــة ثقافة الهند فصليـــة

المجلـــد ٤٤ العـــــدد ٣ ٤

١٩٩٣م

محتويات هذا العـــدد

السيد طلحة الحسني

بقلم: فضيلة الشيخ ابي الحسن علي الندوي
مدير دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ

لما ظهر الجزء السادس الأخير لنزهة الخواطر (١) في عام سنة ١٩٤٧م و قد تم طبعه في دائرة المعارف بحيدرآباد [illegible] بل اكتشف أن الشخصيات الرئيسة و الرجال [illegible] للقرن الرابع عشر الهجري الذين يحتوي على تراجمهم هذا الجزء و الذين يبلغ عددهم إلى (٦٣٠) لم يعد [illegible] الآن [illegible] و مولانا السيد طلحة الحسني و كان هذا العلم و الاكتشاف مزيجاً من [illegible] و الارتياح [illegible] المعهود [illegible] من هذه الشخصيات [illegible] التي [illegible] تاريخ و [illegible] و [illegible] الاعتراف [illegible] و [illegible] العلمية و العقلية الرائعة [illegible] كان [illegible] الارتياح و السرور [illegible] لا يزال [illegible] موجوداً [illegible] ترجمتها في هذا الكتاب و هي [illegible] على [illegible] الكتاب تراجم معاصريه و كان السيد الحسني [illegible] المعروفين [illegible] و كتب له [illegible] على [illegible] للحياة الإنسانية و على [illegible] العقل [illegible] التي [illegible] و [illegible] الأحداث العامة فكان [illegible] في هذا [illegible] الهندية [illegible] هذا الجزء [illegible] و [illegible] يطالع هذا الكتاب [illegible] و [illegible] كان له من علاقة القرابة و الرفاقة و الحب و الاحترام [illegible] (٢)

فلما ظهر هذا الكتاب كان أكثر [illegible] أن يحصل على الكتاب [illegible] و كان [illegible] الأخرى [illegible] لهذا الكتاب مراراً و تكراراً لكن [illegible] الإنسانية ليس لها قرار و [illegible] لا [illegible]

رقما مرسلا و كان قد تجاوز الآن الخامس من عمره فكان على عتبة الموت بعد مدة غير قصيرة و كلما تسلمت رسالة من كراتشي بعد مدة خفت أن تحمل نبأ هذا الحادث المفجع الذي كان لابد من وقوعه يوما ما. هذا و كان من المحظور طبقا للقانون الجديد لباكستان أن يصل من الهند إلى باكستان أي كتاب مهما كان علميا و دينيا و تربويا و يعلم الله كم من مؤلف خاب آماله و تحطمت أحلامهم في هذه الفترة القاسية و كم شغوف بالعلم أرسلوا من هذه البلاد القاصية و في قلوبهم شوق أي شوق و حنين أي حنين لمطالعة كتابات الأصدقاء و المؤلفين المخلصين و بالمعاجم القيمة النافعة للغاية. كنت مضطربا غاية الاضطراب و أحاول بأقصى جهدي أن يصل هذا الكتاب الذي يحمل في صفحاته تراجم جمة من المشاهير و الفضلاء الذين أنجبتهم أ من باكستان و بها ألقوا رحالهم ... أن يصل إلى يد علماء باكستان و أصدقاء يتطلعون إليه و ينتظرون له و يرحبون ... لدراساتهم و مؤلفاتهم. و كان في مقدمتهم السيد طلحة الحسني

و كان الدافع إلى كل ذلك ... من العاطفة و العلاقة الشخصية فلم يكن الأمر علميا و ثقافيا بحتا بل كان شخصيا و عائليا كذلك كما أنه كان ... من المصلحة و الرغبة الشخصية و الواقع أن ... كثيرا على أمور ... و لهذا ... ، الفلسفة ... في ... أن يدلي برأيه و يعرب عن انطباعاته و مشاعره نحو هذا الكتاب و أن يشجع المؤلف و يثني على ما بذل من جهود متواصلة و مساعي مشكورة و أن يذكرني و يذكر ... القديم إذ كان ... من الأمور في إدارات الصحف و نظرة المصنف عليه مواضع من كتابه. كما كنت ... في نفسي الرغبة لأعرف مدى ... فيما ... الزملاء في هذا الكتاب و محاكاة أسلوبه و لم يكن هنالك من يذكر ذلك ... من الدقة و الصحة و الصراحة مثله فإنه لم يكن في ... القارة الهندية إلا بضعة ... يشعرون بالذوق الأصيل في ... و الإنشاء العربي و يتحلون بالفطرة ... على أساليب اللغة العربية مثله و ذلك علاوة على أنه أستاذي و ... فلا مجال له للمجاملة و التصانع في ... و ... لإعترافه و تقديره ... من المعلومات ...

و ... لي فرصة سعيدة بفضل الله لإيصال هذا الكتاب إليه في نهاية ... و طالع الكتاب ... في ... و ... و أرسل إلى ... كلام ... المراجعة ... كان يمكن أن يجد أكبر ... على الكتاب ... الذين ... من ... في مجال التصنيف و التأليف هم يعرفون أن مؤلفا ... لا يرتاح و لا ... من ... و ... و لا ... مرتاح و ...

من حيث مطلع [illegible] من جوهر الكتاب و جهود المؤلف الأصيلة و [illegible]
المراسلة كتب رسالة في الوقت من هذا الطراز الرفيع [illegible] اضافة الى
ان كاتب الرسالة يحمل الاعتراف بان مكمل هذا الكتاب [illegible] الى حد كبير
في مراسلته و كان [illegible] على بعض [illegible] من عباراتي [illegible]
كتبه و براعته في الأدب و الإنشاء و بالفعل فقد علق الله [illegible] العظيمة
و [illegible] الكتاب في حمله و [illegible] و ملاحظته و من [illegible] له لاحظ
[illegible] التي لا [illegible] من المالف و الاصرار و لا [illegible] العصر
و الاجتهاد و ذلك في زمن [illegible] الاعتراف بالفضل و البراعة [illegible]
و [illegible] و اصبح [illegible] و [illegible] حول [illegible] و [illegible]
و [illegible] الى حرب او [illegible] و [illegible] و [illegible]
الملاحظة و [illegible] انه لم يذكر في رسالته [illegible] من [illegible] و [illegible]
و لا كتب او [illegible] غير ان [illegible] و سرورا [illegible] طالع الكتاب
و الا [illegible] على [illegible] الكتاب لم يكن [illegible] فلو كان [illegible] مطرا [illegible]
[illegible] و [illegible] في [illegible] و [illegible] و [illegible]
[illegible] الكتب [illegible]

و على كل فقد طوى ذلك الورق [illegible] و [illegible] من
[illegible] هذه [illegible] الاخيرة التي كانت [illegible] الكتاب
[illegible] في [illegible] من هذه الدنيا و لم يبق احد من
تلك [illegible] الطويلة [illegible] و [illegible] او [illegible] من [illegible]
و [illegible] كان اليوم الاخير [illegible] ١٦٦ [illegible] من كراستي
رسالة للسيد [illegible] ابن [illegible] ثم [illegible] الأخرى [illegible]
السيد في [illegible] و [illegible] الشيخ [illegible] طلعة [illegible] الى رحمة
الله في ٢٣/ رجب سنة ١٣٩ هـ (٢٥ [illegible] سنة ١٩١ م) من [illegible]
[illegible] في احدى [illegible] كراتشي

و [illegible] الرسائل ثم [illegible] في [illegible] يوم الجمعة في [illegible]
[illegible] و [illegible] في تلك البلد [illegible] و [illegible]
[illegible] من [illegible] المعروفة و قليل من [illegible] هذا الرجل العظيم
[illegible] او [illegible] و [illegible]
او مجمع [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible]
[illegible] او [illegible] على [illegible]

و هذا [illegible] الذي [illegible] على [illegible] و [illegible] من
[illegible] و الأسطار [illegible]
و [illegible] الى [illegible] الله التي هي [illegible] و [illegible]
[illegible] التي [illegible] و [illegible] هذا [illegible] الآلا
[illegible] و [illegible] في [illegible] و [illegible]

و مكتبه و دراساته العلمية و تحقيقاته و تقاريره السنوية و اليوم لما جالس احدا بالقلم لاسجل بعض انطباعاتي و أعرف بان لا يعرف بي أي سراج للعلم و الفضل قد انطفأ بحادثه من المرض و الخطأ في ٣/ سبتمبر و لن نجد ناصرا له اعتقد لا أحد من ابناء العلماء السلف الذين كانت نزوتهم الجوهرية الأصيلة هي الموهبة العلمية الثاقبة و صقل النظر و بعد البصر و تنوع المواهب و الخصائص

اعتقد انه كان اماما من ائمة الشعر و النثر و عالما و فقيها متوسطا و راويه كثيرا لشعر ما نظمه الناظمون في العربية من شعراء العهدين الجاهلي و الإسلامي كما كان يحفظ كثيرا من الابيات لشعراء الشعوب الإسلامية الفارسية و الاردية و كان ثاقب النظر واسع الاطلاع على علوم البلاغة و المعاني و البيان للغة العربية و أعتقد انه لم يكن في علماء شبه القارة الهندية من كانت دراسته لإعجاز القرآن واسعا و اطلاعه عليها متبحرا و بعمقه مثل ما كان مثله للسيد العصري و كتب له تعليقات عديدة واسعة للكتب الفقهية لاصول الفقه و الكلام التي هي من أعلام اساتذة العلم و فنه و كان عالي الكعب راسخا في المنطق و الفلسفة فريدا ثاقبا و اثر العلم في التاريخ الاسلامي و اما كان احد في شبه القارة الهندية ترسخ معه علما و فنا ... معرفة فلسفية لا امر ذلك الدكتور كل ذي علم عليم غير أني أعتقد انه لم يكن في العلماء المعاصرين من يستحضر الاحداث الهامة و السنين للتاريخ الاسلامي مثل ما كان يستحضرها السيد العصري فكان كتابا ناطقا للتاريخ و كان في ذلك فضل كبير لذاكرته القوية التي استطاع بها حفظ القرآن الكريم في ثلاثة اشهر بعد ما فرغ من الدراسة و كان حفظه للقرآن الكريم على ما أعرف ظل محفوظا مضبوطا الى النهاية كما كان في ذلك فضل ملموس لما أكرمه الله به من الذوق التاريخي الفطري الذي يستطيع ان يعبر عنه بالحاسة التاريخية و هو فضل من الله يؤتيه من يشاء ما أكثر موهبة تكاليفه فيها بوقته السليم و وعيه التاريخي السالم لاستدلال رواية تاريخها مثل ما يعرض بعض الشعراء الفطريين و البارعين اشعارا موزونة مرتبة بدون استخدام قواعد العروض و القوافي و بدون مخافة اللحن او انحرافه من قواعد البحور و العروض.

كان يتمتع نتيجة لذاكرته القوية بطرق سهلة و ملح و طرائف مهمة لتحفظ الأحداث التاريخية الهامة و سنوات الوفاة للشخصيات التاريخية و كان بجانب ذلك بارعا في علم الفرائض و مخترعا طرق سهلة لتدريب الطلاب على علم الفرائض و ماهرا للبروج و النجوم و أوقات طلوعها و غروبها و ... ماسرار حلمات و رحلات و ملاحة في هذا العلم و ... مشاكل ذلك في بعض الاحيان ... كثيرة ... التفسير ... و القليل ... و المعرفة و كان ... و ... علم الهيئة و الفلك

و الطرائف و اذا ما سنحت له فرصة للاستفادة من اخصائي بارع في الهيئة
اسرع اليها و بادر في الانطلاق للارتواء من بحر العلم معرضاً عن كل شغل
و كان يصبح و يمسي في المطالعة العامة و مرتاد المجالس بملح و طرائف سمحا
و كانت كتب السير و التراجم و طبقات الرجال موضوعه الخاص للدراسة
و المطالعة فكان مطلعا بالغ الاطلاع على مكانات طبقات المصنفين القديمة
و كان مصاله سرود المعاصرين عيناً بعظمة السلف الصالحين و معرفة طبقات
المحدثين و الحب للأئمة أهل السنة و الجماعة و المحدثين و من عظمة و محبته
في قلبه على صفحتها له أثر في قلبي حب للصحابة الكرام و السلف
الصالحين و حبا و احتراما للأئمة و المحدثين لم تكدره في صحبة أو في دراسة
او مطالعة في زمن من الأزمان

و كان اسم والد السيد محمد يعرف في امارة تونك محمد الله
تلقم حسب و تولى منصب حاكم الدوبوريا و كان خليفة مطلقا للشيخ السيد
محمد علي صاحب مخزن احمدي ابن الاخت الكبير للشيخ السيد احمد
الشهيد و كان عمه بطلمر الله محمد عثمان ايضا تولى منصبا هاما في
الشؤون المالية و كانت اسرته ذات مكانة علمية و دينية موموقة في
الحكومة و قد حصلت منحة كثيرة من قبل الحكومة ايضا و ترعرع سمعتها
في مطالب السيد ولد سنة ١٣..هـ (١٨٩..م) في تونك بالضبط (٢) و بعد ذلك
و فيها حصل الدراسة الابتدائية و كان ابن عشر سنين اذ قدم مربيه و شيخه
مولانا حكيم سيد عبد الحي الامين العام المساعد لندوة العلماء الى تونك
سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) لمقابلة أقرباء و ذويه و لما أراد الانصراف بعد ما
قضى فيها بضعة أيام اخذ معه هذا الصبي السعيد ليحصل
العلم الديني فقدم الى لكنو و التحق بدار العلوم ندوة العلماء و بها
درس عدة سنوات و كان مولانا السيد محمد علي المونگيري آنذاك أميناً عاماً
لندوة العلماء و العلامة شبلي النعماني مشرفا على الشؤون التعليمية
و أساتذة المشهور بالفضل و الاعتزاز مولانا محمد فاروق چریاکوتي عددا
و مولانا السيد سليمان الندوي طالبا من الطلاب ثم اكمل دراسته متلمذا
على مولانا سيف الرحمن المهاجر الى كابول و مولانا حسن خان شيخ
الحديث في ندوة العلماء عاملا في المدرسة العصرية ... التي كانت
وطنه الثاني و موكوا علما و بينما كتبوا في وقتها من احبار الطب كالربيعة
للمعاش شيئا لما كان من المتخرجين من مدارس العصر الدراسي النظامي
و بادر الى دلهي حيث حصل الدراسة الطبية بانتظام على يد حكيم أجمل
خان أحد الأفراد البارزين للأسرة الشريفية و فضلا مارس الطبابة في بومبي
مدة قصيرة (١)

و كانت الاضطرابات السياسية العامة سائدة في ذلك الحين حيث
تأسس و كانت الطلبة المتحمسون ... الموافقة و الكلية الطبية يعانون من

أسماء البلاد وراقيات و وجدانا الى لاهور للإستزادة في امتحانات فاضل
و منشي فاضل و لعل قليلا جدا يعرف أن كثيرا من نبغاء ذلك العصر
المعروفين قد اجتازوا هذه الرحلة في شبابهم فالعلامة عبد العزيز الميمني
المحقق المعروف للغة العربية من حاملي شهادة فاضل و مولانا ثناء الله
الأمرتسري مناظر أهل السنة لكل مكتب دائما مولوي فاضل مع اسمه في
رحلته أهل حديث و قد اشترك السيد طلحة الحسني ايضا في هذه
الامتحانات و كان - على ما اتذكر هو الذي برز الأول في اختبار فاضل
عبر البنجاب مما كان سببا لأن يتولى منصب التدريس في اورينتال
كوليج لاهور تولى منصب التدريس في الكلية سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦)
و ظل مشتغلا بهذا المنصب طيلة ثلاثين سنة كاملة و بذلك قضى أطول
و أروع أيام حياته في لاهور التي كانت محطة لأهل العلم و الشيوخ من
كل نوع و مركزا لكل صنف من الأذواق و الحركات و الدواعي و الاتجاهات
و لم يكن السيد الحسني في كل مجلس و ناد علمي و ثقافي و مجتمع بلاهور
معروفا فحسب بل مكرما و مبجلا كذلك ان ارتفاعه عن الأوساط
و الاتجاهات الضيقة و عدم انحيازه الى حركة أو جماعة بعينها السعة
و الشمولية في مواقفه و كفاءاته و دقة الجامعة و المعقول من عقليته
و ثقافته و تلقيها من الأولياء في أحضان البيئة العلمية و العربية
الحسني الذي نشأ فيه جعل المثقفين جميعهم ينظرون إليه نظرة خاصة
لقد كان مجلسه مثل العندليب الهائم على كل غصن من أغصان الأشجار و يسمو
عليه و يغرد و يمص العصير مثل النحل من كل زهر و يحوله الى عسل
مصفى جميل و يحط من كل مورد عذب و يروي غلته من كل نهر صاف
و لم يكن لديه أي شيء من التعصب و التقيد أمام أي تيار أو تخصص في
فن ما و لا غرابة فلقد كان هتافه في حقل العلم هل من مزيد و هل من
جديد مهما كلفه غاليا هذه العادة التي تحولت طبيعة ثانية فلم يزل
السيار دائما على نشاطه و حيويته و أخذ مكانة عظيمة بين أصحاب الأسرار
و المواهب العظام

ان المجتمع الثقافي لم يخل قط عن الذين يتطلعون الى ازهار و در
حديقته و يبحثون فيها عن موقعهم و رغبتهم بدلا من ابراز تفوقهم و جوهرهم
و ضبط تفوقهم العلمي و امتيازهم العلمي على الآخرين و ربما عانى
الزائفون و المتربصون فضلا عن المواطنين البسطاء البسطاء بعض الشيء
المرموقين مقاما يكون عبرة للآخرين فلو شاهدت كثيرا من الناس يتحررون
مثلا منظما باستخدام جوانب بسيطة و تجارب قصيرة و دراسة محدودة
و يسعون لتعميمهم و عبقريتهم أمام الناس كان السيد الحسني في الواقع من
أولئك الذين يزعم عنهم الناس حتى العلماء و المثقفون منهم أنهم بسطاء
قليلو المعرفة بالموضوع لشدة حرصهم على الاستقلال و الإقبال الشديد على

العلماء الكثير من الخبرات و المعلومات مما أدى إلى أنه بقي مغموراً مستورا في الأوساط العلمية و لم يحظ فيها بما كان يستحق به من السمعة و الاحترام و التقدير بينما وصل الذين هم أقل منه علما و مكانة إلى قمة السمعة و الظهور و رد على ذلك بأنه و عدم التكلف و الاصطناع فلا مجال عنده للتصنع و التكلف في اللبس و المشرب و المأكل و المجلس كان مطبوعاً على الحرية و الاستقلال و الفن و البساطة يفضل راحته و استجمامه على العمل على الآخرين أو الاحترام لهم و لا يبالي في ذلك بلوم اللائمين و أقاويل المتقولين

كانت دائرة أصدقائه و زملائه في لاهور واسعة و متنوعة كذلك فقد كانت تضم فيها مختلف الشخصيات العلمية الكبرى و الأدباء و الشعراء و الفلاسفة و الرياضيين و المصورين و الفنانين على السواء حيث كانت علاقاته قوية و ... رئيسها مفسر القرآن الشيخ مولانا أحمد علي اللاهوري رئيس حركة خدام الدين و مولانا عبد الواحد الغزنوي أمير جماعة أهل الحديث و من العلماء مولانا علاء الدين ... و مولانا كريم بخش رئيس القسم العربي في الكلية الرسمية و مولانا أصغر علي روحي رئيس القسم العربي للكلية الإسلامية و كان هؤلاء الجميع يحترمونه و يجلونه و يقدرونه و يحترمونه و كان من ذلك نصيب لكل من مكانته العلمية الفائقة و انتمائه إلى الشيخ السيد أحمد الشهيد رحمه الله و في جانب آخر كانت له علاقات بالأساتذة و الأخصائيين في اللغة الإنجليزية و الرياضيات و الفلسفة و التاريخ فقد كان من أصدقائه و أحبابه خواجه سليم الذي كان بارعا في الفلسفة الجديدة و تولى فيما بعد منصب التدريس كأستاذ للغة الإنجليزية في الكلية الرسمية و البروفيسور محمود خان الشيراني المحقق المعروف للغة الأردية و العلامة تاجور النجيب آبادي و مير أولاد حسين سلطان الشيراني و الأستاذ خواجه دل محمد الإحصائي المعروف في الرياضيات و عبد الرحمن جغتائي الرسام المعروف و المؤرخ لعمران غالب المصور و البروفيسور عبد المجيد الرياضي المعروف و خواجه عبد الوحيد الكاتب الإسلامي و مولانا ظفر إقبال الأستاذ ... في الصحافة المحلية و مير ... على ... مطبع دار الإشاعة بنجاب و غيرهم

و لم يكن لديه في لاهور أحد حلقة للعلم أوسع منها لمولانا أحمد علي فقد كان الجوهر الأصيل لأنه و نشاطاته بعد تفسير القرآن و إحياء السنة و التوحيد هو الورع و التقى و كان غايته في صحة الإدراك و قوة الكشف و الورع حسن القبول دعوة عامة للناس و حضور ... و قد كان يصاعد هذا الورع و ... في شهر رمضان المبارك و ... في العشرة الأخيرة و إن كان في هذا الكلام ... فهو للسيد الحسني فقد كان كثيرا ما يزوره في العشرة الأخيرة و يتناول عنده الطعام

و يلقبه على العكس من عادته بالإمامة و يلقبه و يخاطبه دائماً بالقاب التبجيل و الإحترام و كان السيد الحسني له علاقات ودية ببعض أساتذة غير مسلمين لكلية نيشنل كالج و يستفيد منهم في مواضيع خاصة و كان صديقنا الفاضل الدكتور عبد الله چغتائي الذي عين فيما بعد أستاذ الهندسة و الفنون و الآثار القديمة في جامعة بنجاب - من أصدقائه الأحماء و لعله من تلاميذه كذلك و هو الذي رافقني مع السيد الحسني لزيارة الشاعر الدكتور محمد إقبال عندما ذهبت إلى لاهور لأول مرة سنة ١٩٢٩م و قد كان الدكتور عبد الله چغتائي في بعض المناسبات من أمناء العلامة الدكتور إقبال الموثوقين بهم كذلك

و في هذا السفر التاريخي التذكاري الذي يحتل نقطة التحول و بداية الطريق في حياتي هيأ السيد الحسني فرص الالتقاء بالبارزين و النبغاء من كل طبقة و قد تلقيت أثناء الإقامة كثيرا من معنى فهو هو عرفني بالعلامة إقبال و الشخصيات العلمية المرموقة للاهور فقد عرفني بشاعر البطل المعروف و رسمه بانه و هو معارض للشاعر الكبير صاحب الملحمة الإسلامية الرائعة حفيظ جالندهري و حضرت لأول مرة معه المجلس و تناولت الطعام معه و قد أنشد بطلبي بعض أناشيده و قصائده و كان في ذلك الوقت يصنف تاريخا كبيرا لكل زعيم بالسلف الذي الجليل في تاريخ الشعر و الأدب الأردي بالأردية في الأوساط الأدبية بلاهور و قد كان لم ينشر قبل طبع صفحات فكان يتم تعريفي في كثير من الأماكن بأني سجلت مؤلف كل زعيم و احيانا كان يعرضني على هذا الشيء بقدر على الكتابة ، المعروف بالعربية بطلاقة و ارتجال و يقدمني أمام العلامة إقبال قائلا انه سجل مؤلف كل زعيم و انه ينقل بعض قصائدك إلى الشعر العربي (٥) كان السيد الحسني يحب الشعر و مهتما جدا في السير بالآثار العلمية القديمة كالقلعة الأعلام و المخطوطات المشهور و مشاهدة الأماكن الأثرية المعروفة و يوفر لذلك الأوقات و الفرص بطبيعته و يرى هذه المرغوبات و المطرحات لذة و بها يطير إمامه الواسعة و معلوماته الزاخرة و أن ما استفدت و استمتعت في هذا السفر بصحبته قد استعصت له في طول حياتي و سيكون ذلك معه في حنيني لن تستعيدها أبدا فهو الذي بطفله معارفه بالشيخ أحمد علي و موطن علاقتي به و سعدت بكلماته و عباراته اللطيفة مما رسم على حياتي أثرا عميقا و كبيرا و من هنا تطلبت حضور خاصة في العام المقبل إلى لاهور للإشتراك في دروسه للقرآن و لم تزل هذه العلاقة تتوثق يوماً فيوما

و في ٢٦/ نوفمبر سنة ١٩٢٢م تشرفنا مع السيد الحسني بزيارة العلامة إقبال لآخر مرة و قد طال هذا الاجتماع إلى عدة ساعات و استفدت به كثيراً و قد ذكرت هذا اللقاء التاريخي بالتفصيل في مقال أردي ثم نشر أنذاك في صحيفة غير معروفة لبنجاب بعنوان ساعات مع شاعر الشرق مع

ظهر بطريقه الملخص في مقدمة كتابه روائع اقبال و كان مرافقي في هذا اللقاء التاريخي المحمد إبن أخيه الشقيق محمد ابراهيم الحسني الذي انتقل الى رحمة الله بعد ذلك بشهور و الآن كم اتمنى تلك الفرصة الذهبية لو كان على نفس قدم العلامة اقبال موصيه مرارا و تكرارا بالاسترادة و الاستفهام و لكنه تغافلني من ذلك و يقصر في خدمته

و مع انه قضى شطر حياته الذي هو رمز النشاط و التفاعل و القبول في مثل هذه الامور التي كانت مركزا للغزو الفكري و الثقافي حيث انه لقاء ابن ... مع المبشرين و المستشرقين لكنه لم ينحرف عن مذهب و طوائفه و عمله قيد شعرة و ظل متمسكا بعقائد أهل السنة و سائرا على مذهب أسرته فكان يهتم المواظبة على الصلاة بالجماعة و كان لا يكاد يتحمل رؤية شيئين احدهما أن يصلي أحد بدون تعديل الاركان على عجلة فكان يضطر الى أن يسلم فيصححه لا محالة مهما كان رجلا كبيرا و عظيما و الثاني إسدال الازار و قد نبه على ذلك بعض كبار العلماء و المشايخ و رعاه بعدها للتنبيه و التحذير اساليب شتى و طرقا عديدة فمثلا اذا رأى رجلا مرتديا ثوبا أو قميصا أو ... مسبل إزار و يجر على الارض قال له ازارك ماسح حصير على الارض و نبه ما يكفي القلنسوة على القصر و لا يحضر الحفل او الندوة التي يكون فيها المعازف و الموسيقى أو ينصرف عنها حكى لي ذات مرة احمد حضرت حفلة او مناسبة انشد فيها الطرب و الموسيقى لما اعترضت على ذلك فرفض ثم انشد مرة ثانية بحضور من بعض ... و ... لي فلما اعترضت على ذلك مرة ثانية ... الامر الذي كان مكلفا بالحفلة العصرية الاسلامية ... الي و قال ما الحرج الضرر في ذلك و رفضت انه ... مني و خرج بعض ذلك ملتمسه لكنه الاخرين فالتمسنا له طلب اني أن أكون ذلك بعض أن تكونوا مشاركي في هذا الحفل فعليكم أن توقفوا هذا الطرب و الموسيقى فتنبه على ذلك كان السيد الحسني شديد الوعي و الحذر من الاتجاهات العصرية الزائفة و المذاهب المنحرفة و لا سيما من قائلي القرآن و منكري الحديث و الطلاب و التأويل الزائغ المصطنع للنصوص القطعية من القرآن و السنة كالذي سار عليه السيد احمد خان مؤسس جامعة عليجراه الاسلامية و كان محبا للنبي المكلف بسائر اسماء الله تعالى و صفاته و حافظا جيدا للقرآن الكريم و صاحب صوت رخيم لتلاوة القرآن الكريم و كل ... القرآن الكريم في التراويح مقتداه ... على ... و ... في القراءة ... و ... القراءة ... و ... له السامعون و ... لتلاوته

و في سنة ١٣٤٤هـ(١٩٢٦م) أكرمه الله بحج البيت و كانت هذه الحجة مذكورة من عدة وجوه فقد انعقدت فيها حفلات المؤتمر الاسلامي على دعوة من الملك ابن سعود في موسم الحج في مكة المكرمة زادها الله شرفا و تكريما

حضرها كبار العلماء و الزعماء و الأعلام المشاهير من جميع أنحاء العالم الإسلامي و حضرها من الهند نفسها السادة مولانا محمد علي مولانا شوكت علي مولانا ظفر علي العلامة سليمان الندوي و مولانا كفاية الله المفتي و غيرهم كممثلين لجمعية الخلافة و جمعية العلماء و كان السيد خليفة الحسني قد رافقه في هذا السفر إلى مكة المكرمة عدة أخوته و أقربائه و رافقه أخو الدكتور السيد زبير من الهند و قابل السيد عمر إلى مكة المكرمة من ألمانيا و حضر المؤتمر و حضر من الهند أيضاً الدكتور السيد عبد العلي و الشيخ خليل بن محمد اليماني و مولانا محمد السورتي و تشرفوا بالحج و الزيارة في نفس السنة

و لم يكن له خلاص من الإشتراك في الإمتحانات الانتظرية لأهل جو لاهور و سبب أورينتال كوليج (الكلية الشرقية) و قد سبقت الجامعة للراغبين في الإمتحانات الشرقية بأن يشتركوا في امتحان الماجستير سيرة الاشتراك في امتحانات الانطلاقية من هنا اختار السيد الحسني هذه المرحلة المطلوبة و بذل في ذلك جهداً جسيماً و وقتاً طويلاً و كان بعد ذلك يتأسف على ذلك و يتألم و يحسن رغباً و لطفاً علي و يشجعني بأني تمسكت باللغة العربية و العلوم الدينية و بُت فيهما و تضلعت فيهما فكان التوجيه صحيحاً و التوفيق - بإذن الله - حليفي و الواقع أن هذا التوجيه كان فيه حكمة كذلك عندما قدمت لأول مرة إلى لاهور سنة ١٩٢٩م بعثني إلى العميد المساعد لكلية الفاضل المعروف و المتفوق في العلوم الشرقية و الإسلامية الأستاذ محمد شفيع الذي تولى الإشراف على موسوعة الإسلام الأردية بعد ما تم الإنفصال و عرفني به و استشار بتقديم بعض مقالاتي و بحوثي العربية حول مستقبلي و ما ينبغي أن يختار من الطريق و كان كثير من الناس الذين يختارون مكتباً ابن و مثاقفهم حظوا حظاً و سعادتها للواقع يسيرون على ناصار طول الوظائف الحكومية أثابه الله الأستاذ محمد شفيع الجنة حيث إنه أشار علي بكل ثقة و إصرار بأن لا أترك النبوغ و البراعة إلا في اللغة العربية و مقتضياتها و أن أحصل شيئاً من البراعة و الإتقان في إحدى اللغات الأوربية مع المشاركة منها في الفرنسية - للعمل في العلوم الإسلامية فلما قضيت بعد أعوام في مكتب موسوعة الإسلام تكرست له رأيه الصحيحة و نظرته العالية و أدركت من شكري له و تقديري البالغين

و بالجملة فقد وجه السيد الحسني عنايته إلى اللغة الإنجليزية و بدأ الاشتراك في الإختبارات و كان من عادته أن الموضوع الذي يلفت إليه انتباهه يستولي عليه و صار شغله الشاغل فكان يتجرد له كلياً و يخلص فيه تماماً يطالعه دائماً و يدارسه و يذاكر كل صغير و كبير فيه من الأصدقاء و البارعين فيه و يستشيرهم فكل لما سكن في لاهور أرى بحوث و مقالات الأساتذة الإنجليز للكلية الرسمية و كلية ايف سي و أفكر أن كانت

سنة ١٩٢٥م حسب حصل اجازة طويلة للإستعداد للبكالوريوس و اقام في لكناؤ شهوراً و بدأ استفادة مستطيع من الأستاذ سعد حامد الذي كان اديبا متوسطا في الإنجليزية و رئيساً للقسم الإنجليزي في جامعة لكناؤ و عين فيما بعد نائب رئيس لجامعة دلهي و لعله عرفه به الأستاذ خليل بن محمد السملي الذي كان استاذا لي و صديقا له و استاذا في القسم العربي لجامعة لكناؤ

أكرمه الله بذاكرة قوية للغاية و لم يكن يقتصر ذلك على لغة أو علم فكان نتيجة لذلك يحفظ مقطوعات كثيرة من مسرحيات الشاعر الكبير شكسبير و عبارات طويلة من كتابات مؤلف مشهور و غيره و كان قد درس الكتب مؤلف مشهور في الأدب الإنجليزي بما فيه من الطرائف و الإمتاع و الدقة و الإتقان و مستمدا جملها المكثرة معانيها من الشعر و الطرب و لكن الإنجليزية التي تدل على تحصيل البراعة و الإتقان فيها تضارب جهده و التي لم تكن بعد تحصيله ما يحصله و أمثاله لم تنفعه و لم تساعده شيئا في حل القضايا الإقتصادية و في رفع مستوى في الوظائف و المناصب فظل تعلقه مرتبطا بالعلوم العربية الدينية إلى آخر أيام حياته حتى استقال من الكلية الرسمية بطواعية نفسه سنة ١٣٦١هـ(١٩٤٢م) و انقطع الأمل نهائيا من الشهادات التي ترجى منها تحقيق التي

و كان له ولع كبير و هيام شديد بالمطالعة و الدراسة و كان عداد الأصل و ذوقه و حبوبه (hobby) مطالعة كتاب نافع جديد فإذا توفر له كتاب قيم ذو معارف و معلومات ظل عليه و انقطع عن الدنيا و ما فيها طالعه و كذلك أذكر مع جلسائه و إذا طالع أي كتاب يشترط أن تكون تلك الكتاب له نسختها فلابد أن تكون معه ترجمة لغير ترجمة الأمكنة و العمل التي يعجب بها حتى تصبح الكتاب أشبه المرمة حبرا و كان السيد الحسني قد مر عليه زمان استولى عليه كل مؤلف و كل كتاب و له معرب و من أداركي لصحيفة العمر الأربعة الصادرة من ندوة العلماء في مرحلتها الثالثة العلما و الكتاب المشاهير لتسجيل الكتب التي كان لها دورها في تكوين ثقافتهم و عقليتهم و أسلوب تفكيرهم و التعبير عن مشاعرهم و انطباعاتهم بالمؤلفين المفضلين و الكتب المفضلة فصح عدد من كبار علماء الهند حول هذا الموضوع و قد ساهم في هذا البحث السيد الحسني كذلك على أمر و الحاح مني و إن بحثه قيم و مفيد و زاخر بالمعلومات و التجارب و نافع جدا خاصة للطلبة و الأساتذة على السواء و قد جمع مقالات الموضوع مولانا الحافظ محمد عمران خان الندوي هذه البحوث و المقالات في كتاب بعنوان مشاهير اهل علم محسن كي كتابين (الكتب المرشدة لكبار أهل العلم) و يمكن مراجعة آراء الشخصية و تجارب الحياة العلمية و الثقافية في هذا الكتاب

و كان السعد الحسني له باع طويل و براعة تامة في تدريس قواعد الصرف و النحو و كان حفظه على التعريب العملي و تطبيق الأصول و المبادئ أكثر منه على المسائل و التمرينات النظرية و كان قد أعد مقررا موجزا مبسطا للمسائل النحوية و الصرفية التي تمس إليها الحاجة في الحياة اليومية و كان تدريس هذا المقرر الوجيز أولا و مصطلحي الحسني للنحو و الصرف إنما هي رغبة له على الأغلب و أحالته إلى شيخي فلقد استفدت منه في دراسة الصرف و النحو ابن أخت الشيخ أحمد الحسني الذي يجيد العربية و الإنجليزية على السواء و الذي ينطق اللغة العربية كأحد أبنائها الأقحاح و استفدت منه كذلك في الصرف و النحو محمد ثاني الحسني رحمه الله

كان قليل التسامح في الخطأ يؤنب على ذلك و يبدي سخطه و أسفا أياما و أسابيع لأجل ذلك لا يكاد يجسر على اقتراف الخطأ مرة أخرى و يكون ناقماً على صاحبه و حذر و قد درست منه كتب الأدب و اللغة كذلك لكن جل استفادتي منه حصل في الصرف و النحو كان مولعا جدا بالكتاب لسيبويه كما كان معجبا بالمفصل للزمخشري و معترفا به الطلبة و يذكر الكافية لابن الحاجب غير أنه كان يشيد بكتابه السالفة و يمر أيضا بشرحه الرضي أما كتب العلامة السيوطي فكان المزهر منها كثيرا ما يحث دراسته و يحرص طلبة الأدب على دراسته

أما الكتب الدينية فقد كان يحب و يحترم الجامع الصحيح للإمام البخاري حبها بل كان ولوعاً به و هائما و كان ذلك على حد قوله أثر لتدريس مولانا حيدر الرحمن الذي كان من المحدثين و العاشقين للبخاري فكان السعد الحسني يقرأ حديثا للبخاري ا و قطعة لإسناده بتمامه من أسرة و الطرب و لا يكاد يشبع من دراسته و كان كثير الإعجاب بالهداية كذلك و يعتقد أن هذا الكتاب له دور كبير في تكوين الذوق الفقهي في الفقه و كان كثير الإعجاب بالكشاف بما أكرمه الله به من الذوق الأدبي و البراعة في فن البلاغة و كان ولوعاً و هائما بشعر العجم في الشعر و الأدب للعلامة شبلي رائد النهضة العلمية الحديثة و أحد أساطين الأدب الأردي و من مؤسسي ندوة العلماء كما كان كثير الاعتراف و التقدير لأسلوب كتابته و عدة من التراجم و السير ، فكان يقرأ آب حيات في الشعر و الأدب لمؤلفه حسين آزاد بغاية من اللذة و السرور

و المقصود من مقالته العلمية أكثر ما استفدت من مقدمته الكتب و لا أبالغ إذا قلت إن له نصيبا كبيرا في تكوين ذوقي و تفكيري و أسلوب تفكيري و ترجيحي و تطبيقي مما يمكن أن يعبر عنه بكلمة واحدة هي الصياغة و مما استفدت منه هو التعود على النظر إلى كتاباتي بنظرة الشك و النقد و الإطمئنان من صحة استعمال الكلمات و مراجع المصادر و مراجعتها للمعاجم مرات و كرات و من المشكلات التي يواجهها العلماء و الكتاب الهنود أن اللغة

الأردية معاب من كلماتها مأخوذة من اللغة العربية و لكن هذه الكلمات قد تغيرت كثيرا مفاهيمها و أمكنة استعمالها بعد ورودها الى الهند و الهنود بناءا على كون تركيب هذه الكلمات من العربية يستعملونها بمراده في كلامهم و لكن العرب الأقحاح و الأدباء لا يفهمون منها إلا ما يفهم الهنود فكان السيد الحسني يحتار في ذلك عليها التعلق و الإحتياط حتى بلغت دقته مبلغ الوهم و الشك و لكن كلما كان العربي مخاطبه العربي أصلا استطيع بشككه و احتياطه و دقته كثيرا

و كانت هوايته الأدب العربي و المعالي العلمية و التاريخية و التربوية فكان يبحث في كل مكان و زمان عن أمثال مجالسيه في أوقاتهم الفارغة و يشاركونه في الحديث و كان دائما تمام ساهرا فكان مجلسه نشطا في الليل متأخرا و لا يسمح لأحد بالانصراف و قد كان ذلك بسبب الضائقة و الإزعاج لكثير من الأقرباء و التلاميذ الذين لا يستطيعون تحمل هذه المجالس أو يأخذهم النوم مبكرا و كثيرا ما يتسلل أمثالي فاتر الهمة و ينصرفون من مجلسه معتذرين معتذرا و اذا ما طلع أيضا ذلك كوكب جديد أو كانت الليلة زاهرة بالنجوم و اتفق له الانبهار إلى الخارج فلابد أن يطلع جلساءه بانبهار هذه الفرصة و الاستمتاع بها و الوقوف على هذه الكواكب و الذين كان يحسن بهم كثيرا من بين هذه المجالس بحضورهم على مشاركته و مجالسته لوقت طويل و كان ممن سعدوا بهذه الفرصة هذا العاجز و مولانا محمد ثاني و السيد عقيل (الذي كان ابن عمه) و السيد ناصر الحسني و كان كثير اللطف على محمد ثاني و مفتخرا جدا بصلاحيته و مواهبه فالأستاذ محمد ثاني عنده كثيرا في علم الفرائض و القصص التاريخية و حفظ منه في ذلك علما و طرائف لا تتوفر حتى في أمهات الكتب و كان السيد الحسني كثير الإستئناس في العلماء الأجلاء بمولانا الحافظ حليم عطا السلوني شيخ الحديث لدار العلوم ندوة العلماء سابقا و مولانا حكيم حسن مثنى الأمروهي و أما في الأساتذة فقد كان اجتماعه كثيرا مع مولانا حيدر حسن خان و اذا ما زار مرة في دار العلوم ندوة العلماء طال الحديث الى منتصف الليل و انفتح سجل الأحداث الماضية و التاريخ السلسل و كان الحديث في هذا اللقاء يدور خاصة حول منطقة تونك و شخصياتها الهامة و سلوكها و عاداتها (٦) و قد سمعت مولانا حيدر حسن خان كثيرا ما يشكو في الصباح من أن السيد طلحة لم يسمح له بالنوم و لكن كان يحدث مثل ذلك في الليل القادمة و كان مولانا حيدر حسن خان يستحي منه لشدة علاقته معه و لأجل الموضع الفضل المشترك و لكنه بسبب قوته الروحية و هوايته العلمية لا يدع مجالا لتطرق أي ملل في مجالسه و دروسه و مجلسه و محادثاته معه

و كان مفتونا بجمع الدراسة و المعلومات و كثير الأسفار و الهجرات

لمولانا أنور الشاه الكشميري من العلماء المعاصرين و كانت له اجتماعات
و لقاءات معه في ديوبند و لاهور و لما مر الشاه الكشميري بمحطة
لاهور في طريقه إلى كشمير ذهب يزوره بالمحطة ثم لا ينسى من اللقاء
التي حصل في مجلسه و أن الشاه الكشميري هو أيضاً كثير الأنس به
و كان السيد الحسني كثير الإشادة بالشيخ مولانا سيف الرحمن في مجال
الملكة و الرجاحة و الواقعية و التجارب الواسعة للحياة و كثيرا ما يذكر
و أما في مجال الورع و التقى و المعروف من الشيوخ فقد كان معجباً
بشخصين من أسرته مولانا السيد محمد عرفان التونكي و أخيه الأصغر
مولانا السيد مصطفى التونكي و كان كلاهما عابداً حقيقياً للسيد
أحمد الشهيد رحمه الله و عاملاً بالسنة و علاوة على هذين الشخصين فقد يذكر
بحب و احترام كثيرين من شيوخ الأسرة الفرسوية و لا سيما مولانا
السيد عبد الجبار الفرسوري و يحكي قصصهم الآثرة المرققة

و أما في الروايات و شروح الأدب في طبقة العلماء فقد كان معجبا
جدا بوالدي الجليل مولانا الحكيم السيد عبد الحي بشخصيته و مواهبه العلمية
و الثقافية و ذلك لأنه شاهد حياته في سن رشده بعد سنه العاشرة إلى أن
توفي مولانا السيد عبد الحي الحسني و كان ذكره كذلك الموضوع الخاص
لمجلسه

و كان محافظاً على السلف فكراً و اعتقاداً و لكن عاملا بالعقل السليم
في جميع الشئون الدينية و المرافق العامة مع ذلك كان كثير الاعتراف
بالإخلاص و الصلاح و التقى لشيوخ سرهند الأكارم يذكر شيخ الهند مولانا
محمود حسن بكلمة لطيفة و تبجيل و يقابل مولانا السيد حسين أحمد المدني
بحفاوة و إكرام الذي كان يقيم دائما عند الدكتور السيد عبد العلي في
لكناؤ و بهذه المناسبة كانت له اجتماعات خاصة مع السيد طلحة الحسني
و كان الشيخ المدني يمازحه كثيرا كما كان كثير الإعجاب بالحكمة الدقيقة
و النصائح الغالية و الخطب الدافقة و الكتب القيمة لمولانا أشرف على
التهانوي و بالإخلاص و الصلاح للداعية الكبير الشيخ محمد الياس
الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ و الدعوة و عندما قدم إلى مركز
نظام الدين في دهلي في نوفمبر سنة ١٩٤٢ لدى زيارة الهند قابله الداعية
الكبير بحفاوة و إكرام لعلاقته مع السيد أحمد الشهيد ما رأيت مثله لأحد
كان زمن الحرب و كانت الحرب على قدم فلما وصلت المائدة كان الشيخ
يطلب يخبز خبزا حاراً و يحضره للسيد الحسني و لم يسمح الشيخ نجله
مولانا محمد يوسف بالقيام بهذه الخدمة و ذهب السيد الحسني في هذا
السفر إلى سهارنفور كذلك و قام عند مولانا عبد القادر لعدة أيام في رائي بور
أيضا لقي الشيخ بحفاوة و إكرام

و رزقه الله حظاً و افرا من البشر و الطلاقة و الإشراقة و صفاء الروح

و كان قادراً على اضحاك الباكي و اسكات المتكلم بحسن ملحه و طرائفه كل كلامه له طلب جديد يسمى اسماً جديداً و يحكي طرائف و ملحاً سمعها طويلة و قد نقص هذا السمر و الطلاقة لأول مرة عند ما توفي اخوه الحبيب الفاضل اللائق بالإعزاز السيد محمد عمر المهندس الحسني في ٢٦ جومادى سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) كان السيد محمد عمر آية في مكارم الأخلاق و المحامد و الفضائل الانسانية كان السيد طلحة الحسني معجباً جداً بشخصيته و هائماً في حبه و كان يعتبره جوهراً و لؤلؤة الأسرة و لا غرابة فقد كان في الواقع كذلك كان سباقاً في مضمار الحلم و صلة الرحم و الجود و الإيثار و الإشراق و الإسهام ان وفاته أحدث في نفسه قلقاً و اضطراباً لا يزال معه ان يواصل وظيفته فاستقال بطواعية نفسه من الوظيفة في أورينتل كوليج [الكلية الشرقية] سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢)

و الغالب الماسي الذي اثر على حياته طول خمسة عشر شهراً و قصر سهري حياته هو وفاة حمي المحترما و إن كان قام بعد ذلك بزواجه و رزقه الله ولداً في الهند لكنه لم يستمتع بالفكر الماهر و الطمأنينة التامة و بدأ يقضي جل أوقاته في الكتابة بعد الاستقالة من الوظيفة كان يأنس كثيراً بعمه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي و لعل نطول الاقامة في لكناو كانت سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥م و كان يبذل بعض أوقاته في ادارة تعليمات إسلام (مؤسسة التعاليم الاسلامية) التي اختصت بتعليم اللغة العربية السهلة و تعريف المثقفين باللغة الإنجليزية بالقرآن الكريم و التي كان يشرف عليها فضيلة مولانا عبد السلام القدوائي و علاوة على ذلك فقد كان يقضي بقية أوقاته في الدرس و المجالس العربية المتعة و انتقل الى باكستان سنة ١٩٤٨م و اتخذ الإقامة المستقلة في كراتشي و لم يزر الهند الا مرتين مرة في رحلة سنة ١٩٦٠م لكن كانت الظروف ... في مصر و الحجاز فلا نستطيع ان نكتب عن ذلك شيئاً و كانت زيارته للهند بالمرة الثانية في ... سنة ١٩٦٥م و لعله اقام هنا ستة أشهر قضى ... جل أوقاته في لكناو و بهوبال و اقام في دار العلوم ندوة العلماء لمدة ... كان مسئولاً في الدراسة و جمع المواد من مكتبة ندوة العلماء لكتاب (مقدمة عهد الصحابة) الذي كان في طور التأليف بذلك الوقت استمتع الأساتذة الشباب كثيراً بمجالسه و اجتماعاته العلمية زمن إقامته بدار العلوم ندوة العلماء و كان له اصدقاء قدماء في بهوبال لا سيما الصديق الفاضل المفتي رضوان الحسيني و ... و الآخرون و كان يختلف كثيراً الى مجالس الشيخ الشاه محمد يعقوب مجددي رئيس الثقافة في بهوبال و كان الشيخ هو كذلك يأنس به كثيراً و يعترف بسعة خبراته و معرفته بالتاريخ و الرجال و قد ذكر لي مراراً ... السرور و الافادات العلمية

بعد ما قضى سنة في كراتشي اشتغل في دار المصنفين ... التي

ملزوم بمخاطبتها تحت إشراف مولانا طفيل الديوبندي كاتب وظيفته في هذه المؤسسة أن يعيد النظر في الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم التي كانت ملزوم بها تلك المؤسسة و أن يقدم آراءه تجاه هذه الترجمة في ضوء معرفته الدينية و اللغوية العميقة الواسعة رده مولانا طفيل لعدم مقدرته كثيرا من الجهود و المساعدة و المؤازرة لم يكن صحة السيد الحسني الآن مسمحة بمواصلة وظيفته أو شغل مستقل لو كان الله أكرم عليه كراتشي و أبناءها بالعمل و الطلب و التوفيق لقدموا فرصة وجود عمل عند المؤسسة القيمة العبقرية ذات المواهب و الصلاحيات فيهم و أتاحوا لها الفرصة أن تواصل خدمة الإفادة و الدراسة و بعض عصرنا حافلة مطمئنة حرة لكن مع الأسف لم يتم ذلك و قضى عند الله مقلق و اضطراب و سيرجع و بلغ ذلك مدى العميقة جميع التلامذة و الأقرباء الذين استفادوا منه في الأمور مقيمين في منزله شهورا و أعواما و قد يطول فاستمعهم و لكنهم عجزوا من تقديم مساعدتهم له لأجل العمل المكاني أو الصعوبات القانونية الأخرى

ثم حدث بعد كل ذلك أحداث و وقائع زادت مأساته رجعا و مصيبة كانت أكثر حدة بعد حين أخيه الأوسط السيد محمد عمر لأخيه الوحيدة (والدة الأخ الكريم السيد أحمد الحسني) فاجعتها المدينة سنة ١٩٦٨م و بعد ذلك لم قبل ذلك بعده أيام توفي أخوه الأكبر أبو عمر السيد يسر الحسني و بعد ذلك بعد انتقل إلى رحمة الله عنه أخوه الأصغر السيد محمد علي الحسني الذي مكث في الهند حتى بعد الإستقلال و هاجر إلى كراتشي سنة ١٩٦٨م و لم يمض بها إلا بضعة أشهر حتى مأساته الشيء فلا غرابة أن تقضي هذه الأحداث و الفواجع المذكورة على مهارة حياته و تكسر صفوها و من ما لقيته لآخر مرة على مطار كراتشي في أبريل سنة ١٩٦٦م فقد سيل دموعه مالم معي و وقفت مصدوها حائراً على أن الشخص الذي كان مهيبا لعينها بل الإجلال كيف أصبح منهوكا مستلا بعلله و عارضه مواجعه و في صورته ضعف و ارتعاش و العيون دامعة هو نفس الشخص الذي كم كان يحمل في طيه من الروعة و البهاء و الجلالة و النضارة و الإنشراح و الإنبساط و لكنه أصبح اليوم مرجع حسرة و مبعث ضجر و اضطراب

إن كل ما وصفه السيد محمد حسني أولا في كتابه من حياة حول عمر السيد أسما ليصدق على السيد طلحة الحسني كذلك يقول

يعتقد بعض فلاسفة اليونان أن عندما جاء الإنسان يعتقد أطلب و أعتقد أن كل شخص مثلما يولد و قد يحمل معه حظه من الرزق و الأعمار كذلك يولد و كل من له مكتوب منا نصيب قدر الفرح و السرور و الضحك أن السيد الموصوف نال قدر من الضحك و السرور الذي كان لطول العمر في وقت قصير و عليها أوقات الصبا أما بلغت ذروته لم تصبح محلا للهموم و الغموم (٢)

كان يؤكد لي مراراً و تكراراً و يطلب مني في كل رسالة له أن ألتقي به و أستكمل معه فوائد العقد و لكن من يدري أن هذا اللقاء كان لقاءه الأخير

كانت هوايته الأصيلة مراجعة الكتب و مطالعتها و رصده للمعلومات و العبرات و لم يكن له شغف كبير بالتأليف و التصنيف لعل رصيده الزاخر بالمعلومات و ذوقه الرفيع للمراجعة و المطالعة يحولان دون عرض معلومات و خبراته بصورة منتظمة منسجمة كما أنه لم يكن يلائم طبعه الفرح مع القعود و الجمود مما أدى إلى أنه لم يعتن بالتأليف و التصنيف و إنما ألف سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بإيعاز من الأميرة سلطان جهان بيكم حاكمة الولاية رئيس القاسمية العصرية في بهوبال في شبابه و قد استلم على ذلك المكافأة و لكن لم يتم طبعه و يوجد النسخة الاستعارية المخطوطة للكتب التي عملت مثل معجم و المعجم … و في باب الى الأوربيا لكنه اشترك في هذه العملية لصاحبها و سعيها كثيراً من ملاحظة و استطالة ثم طبعه سنة ١٦٢٨هـ لكن لم يرد اسمه في أي موضع من الكتاب و في نهاية الكتاب مقدمة علمية قيمة لإسمين و ملاحق مطبعة يحتوي على فوائد لغوية و نحوية هامة

من أن مبكار العلمي الأصيل هو المسودة المفصلة لتأليف المعجم العربي المهم الذي بدأ تأليفه بعد أعوام و سنوات حول الحياة العقائدية و الأدبية للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين و قد كان قام لذلك برحلة إلى الحجاز و مصر و سوريا و تركيا سنة ١٣٦٢هـ (١٩٠٢م) بمساعدة صديقه الشيخ الدكتور عبد الوهاب عزام السفير السابق لمصر في باكستان مستفيداً من مكتباتها الفريدة و جمع مواد عديدة للكتاب لكنه لم يوفق لإصدار هذه العملية المطهرة لعدم توفر الأسباب اللازمة و بناء على ملاحظة و عنايته الخاصة بي قد أرسل جميع الملاحظات و المسودات و الملاحظات لهذا الكتاب إلي في مكة المكرمة عن طريق مولانا ظفر أحمد الأنصاري عضو رابطة العالم الإسلامي فلو أكمل هذا الكتاب و تم طبعه لكان يظهر وحده و موسوعة هامة على الموضوع عسى الله الأسباب اللازمة لطبع هذا الكتاب لتخليد ذكرى العلمية و ليستكمل مرآة الصحابة الكرام و مآثرهم بأحسن وجه و ليعترف من لم يعرف على المكانة العلمية و الثقافية لهذا محقق عاش مغموراً منطوياً على نفسه

يا روح عمي و بعموره إلى اللقاء فقد خاطبته دائما بهذه الكلمات منذ صبوة الطفولة لقد فارقتنا و أنت مكث مغمورا مطمورا منطويا على نفسك لم يعرفك الناس و لم يقدروك حق قدرك و لكننا لا نزال عامرين قلوبنا بذكرياتك العطرة و ملفوظ بالمواهب على المعارف و المعلومات التي اقتبسناها منك و على المصادر و التجارب التي اكتسبناها منك إنما فارقت هذه الدنيا الفانية و لم تفارق بنا قلوبنا العامرة بذكرياتك العطرة

معرب: أنساب عالم الندوي

الهوامش

( ) يحتوي الكتاب (نزهة الخواطر لمؤلفه العلامة السيد عبد الحي الحسني) على تراجم الذين سكنوا في الهند من القرن الإسلامي الأول حتى سنة [illegible] قال المؤلف ١٣٤١هـ [١٩٢٣م] يغطي الكتاب الوسيط من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري و المسلمين الكبار من [illegible] في الشمال الغربي من الهند إلى خليج بنغال في الشرق و من [illegible] كشمير إلى [illegible] و [illegible] من الجنوب و الأعيان من كل طبقة على اختلاف [illegible] الفقهية و [illegible] العلمية و [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] يحتوي على أكثر من أربعة آلاف [illegible] ([illegible]) من التراجم
و قد صدرت الطبعة الجديدة للكتاب باسم "الإعلام بما في الهند من الأعلام" و [illegible] [illegible] على الموضوع من السابق

(٢) [illegible] مؤلف نزهة الخواطر [illegible] [illegible] [illegible] و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بهما و بالعكس

( ) [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمير [illegible] [illegible] حاكم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السيد [illegible] [illegible]

(٤) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

( ) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٦) في سنة ١٦٣١ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذين هم [illegible] [illegible] السيد [illegible] [illegible] الأمير [illegible] على [illegible] حاكم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] الأمير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٧) ص ٢٦٣

الحلقة الثالثة

نبذة من حياة
الخواجه باقي بالله الدهلوي

(أضواء على مجلس خواجه خرد)

مخطوطة نادرة أقواله

بقلم: فضيلة الشيخ محسن أحمد الفريحي

احوال خواجه خرد:

كان إسمه خواجه عبد الله و لقبه خواجه خرد ابن خواجه باقي بالله الأصغر

و كان خواجه خرد من أكبر زهاد عصره و عالما كبيرا فريد عصره يجمع بين العلوم العقلية و النقلية و كان السيد كمال سنبهلي مريدا خاصاً له و انه ذكر أحواله و أقواله مفصله في كتابه أسرارية و قد كتب رسالة مستقلة مفصلة في تذكرة خواجه خرد و لعله الأكبر خواجه عبد الله المعروف بخواجه كلان و سنطلبها عن المصورة

و كنت ذهبت الى حيدرآباد (الهند) في شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩م و صادفني أن زرت المكتبة الآصفية و وقع نظري على مخطوطة نادرة خطية باسم ملفوظات خواجه خرد جمعها سلام الله الدهلوي و عرفت من أسرارية أن الخواجه سلام الله كان من أصحاب خواجه خرد و كتب معظم أقواله و الآن هنا ترجمتها

قال إن من أكبر العيوب عندي طلب الدنيا و أفضل الأعمال تركها فقد قال عليه الصلوة و السلام حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة

و قال كل من يطلب الدنيا ليس له أي كرامة في الدين و الدنيا ثم التفت إلى الراقم سلام الله الدهلوي و تلا هذه الآية و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها

و قال: قال رجل لنا يتكبر لك أحد أن من يجتهد في هذه النسبة يعيش في رغد من العيش و من لا يحاول يعيش في ضنك و فقر و جوابه قد ثبت من المشاهدة أن هناك كثيرا من الناس من يطلب الدنيا و يسعى لها ليل نهار و لكن لا تجدي مساعيهم شيئاً و هناك كثير من الناس من يعرض عن الدنيا و لكنهم متنعمون بكل نعمة من نعم الدنيا

ثم قال: لو قال أحد إن طلب الدنيا و السعي لحصولها مراد الله عز و جل فإنه من وساوس الشيطان و ينبغي أن يزال ذلك بالاستغفار و التوبة و يقول حضرته سلام الله الدهلوي جاء رجل ذات يوم إلى والدي فذكر كثرة عياله و ضيق معيشته فقال عند ذلك

لابد أن يعتقد اعتقادي أن الله هو المتكفل برزق سائر الناس فلا تتبع الناس غير الضرورية ثم تلا هذه الآية: *إنما أموالكم و أولادكم فتنة* (١)

و قال: كان مجذوب من المجاذيب يدور في ... لا يلتفت إلى أحد و كان نائما مستلقياً على الأرض و أراد هنا سماع الكرماني و زيارته و لما وصل إليه قال له رافعاً رأسه ثم الآن أجيئك و حكى والدي هذه القصة يوما كان يريد أن ينام فيه ثم توجه إلي قائلا ثم الآن أنا أيضا و أحاول قائلا فقصد بذلك أن يلتفت إلى الله عز و جل و أتوجه أيضا إليه

و قال: اختلف النحويون في إعمال الفعلين مثلا ضربني و أكرمني زيد بسبب تنازع الفعلين فذهب الكوفيون إلى إعمال الفعل الأول و البصريون إلى إعمال الفعل الثاني و الأرجح ما قاله الكوفيون ثم قال: لما كانت الأرواح في عالم الأرواح في تصرف الله سبحانه و تعالى و لما ارتبطت بالأجسام فيتصرفها متصرف فيها و هكذا أصبح الله سبحانه عاملا أولا و عالم الكون بمنزلة العامل الثاني و الأحسن أن يبقى مثل العامل الأول أعني يكون الله سبحانه متصرفاً كاملا

و قال: إن كل مسألة يؤديها أحد بصحته لا يثاب عليها و إن أتى بها في مرضه و كل مصيبة ينصب على الدوام يكون نصيبه أحسن و يقول ابن حضرته عن حضرته سلام الله الدهلوي ... عليه مرضاً و كان هو في فرح و انبساط عجيب و كان المجلس كله مملوءا بالفرح و السرور و كان كل من يحضر هنالك ثم يعطي إليه و ألقى عليه نظرة حلمية لا أكاد أنسى تأثيرها و قال: كل ما في الشريعة حق و كل ما قاله الصوفيون هو أيضاً حق و قال لم يوجد حتى الآن مثل خواجة باقي بالله الدهلوي بعد حضرته بهاء الدين النقشبندي في هذا الصدد و قال: إن التوصل إلى العلم بواسطة الوهم صعب و أصعب من ذلك التوصل إلى الوحدة بواسطة العلم و بعد ما بلغت السابعة أو الثامنة عشر سنة من عمري التقيت الشيخ الهداد ... و كل من حلقة والدي ... في آثار ... في ذلك العهد و لما رأيت رسائل مجدد الألف الثاني ملت إلى زيارته و لما قصدت ...

أراه في المنام بعد كل منزل و كان يؤانسني عطفاً كثيراً و لما سقطت في مرضه غلبت علي كيفية قلبي و لما زرته خرجت بفرح و انبساط عجيب

و قال إن أول شيء ظهر لي عندما حضرت في خدمة الشيخ مجدد الألف الثاني كان التوحيد بعد الكشوف السكري و هناك مراتب و درجات كثيرة في التوحيد و جعلت لي مطالعها في صحبته

و قال إن أول شيء لهذه الطريقة العلية و أمره جعلني مستحضره و معالي

و قال يجب الشكر على كل نعمة من نعم الله تعالى و لكن لا ينبغي أن يميل إلى الدنيا

و دخل عليه زاهد و قال إن فلاناً من الأغنياء مال من خلال أصحاب المتصوفة فقال هذه علامة استعداده

و قال رأيت ذات ليلة في المنام أني جالس أمام خواجه باقي بالله و هو ملتفت نحوي و يقول لي قل الله الله و أنا أقول معه الله الله و مصروف خواجه في داخلي فشغلت في كيفية عظيمة و حالة قوية و لما استيقظت وجدت تلك الكيفية نفسها و قال الغني والمستغني على خطرة خاصة ولم أبلغ الخامسة من عمري و قال لقد تقبل الله هذا الصبر في طفولته ثم أصبحت كاملا قال لي ذلك شيخ المشايخ أستاذ الأساتذة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي

و قال إنما الشجاع من لا يصرف أحدا يتحير معه و إنما الحر من لا يصرف رجلا يرجو به ثم قال لا بد للطالب أن يتحلى بحسن الوصف

و قال إنما الزاهد من يصاحب نفسه إيماناً و يكرم كل أحد و إذا صحبه أحد فهو يقدم له أو يهدي إليه هدية ليفرح و قال كان عمر السيد أحمد مكي الذي كان من المخلصين للوالدين يقول وصحبني خواجه باقي بالله عند ما أصل إليه لتحفظه بإذن الله تعالى

و قال كنت يوماً في مجلس مجدد الألف الثاني و هو يقول إن الدخول في الجنة يصعب جدا ثم روى حديثا فأبصروا مدخل الجنة من يكون ماشياً من الحب بمثل ما المطر و كان المجدد يقول ذلك و يبكي

و قال كتب تاج العارفين الشيخ تاج الدين سنبهلي في بعض رسائله إن من يواظب على الدعاء السيفي لوجه الله يطور في الدرجات السريعة و لكنه إذا فعل ذلك لأغراض دنيوية فقط فإنه يكون كمن خسر الدنيا و الآخرة

و قال كان مجدد الألف الثاني يقول إن مرشده خواجه باقي بالله كان يقول لم أر في الهند زاهدا مثل خليفة الله بهلول كرمكتهلري (٢) و كان يحكي على حال جذبه و قال للشيخ إنما حديثك إن خواجه قال ليحيى الزهد لمن أراد أن ليتابع على ما خواجه الله بهلول كرمكتهلري و كان يمشي حتى أتى فرداً له و لكن لم أجابه لصحب قد ورد ذكر ذلك السبب

في أقواله و لكني لا أذكره نظراً الى الإيجاز

قال: كنت جالساً يوماً في خدمة الجد فإذا ذكر لنا بعض تلامذة أبي خواجه باقي بالله كان يقرن بين مولانا حسام الدين و الشيخ تاج الدين السنبهلي حيث أن الأول كان أكثر علماً و معرفة و الثاني كان متفوقاً في الحال و المذوقة الروحية

و قال: بعثني شيخ الهداد في أيام حياته الأخيرة ثم قال لقد أعطيتك كل ما وصل إلي من خواجه باقي بالله و المشايخ النقشبنديه الآخرين

فتلمذت سنوات كثيرة لوحدها و شرفت بعد الإجازة بعد ما أجاز لي مجدد الألف الثاني رحمه الله و قبل ذلك أجاز لي مجدد الألف الثاني بمعالم الطريقة النقشبندية و حصلت على الإجازة في السلسلة القادرية على يد الشيخ محمد سعيد إبن المجدد بعد مدة طويلة لإجازة شيخ الهداد يقول خواجه سلام الله دهلوي ذهبت مرة الى خواجه مير درد و قد تغلبت عليه الكيفية الروحية و لقد رأيت منه ذلك اليوم ما لا أرى قط قبل ذلك كان يبكي و يقول إن ربي ساخط علي و الدموع تنهمر من عينيه ثم قال ذكر لي والدي إن الزهد ليس عبارة من أداء الصلوات و الصوم و إحياء الليالي و قلة تناول الطعام بل الزهد أن لا تؤذي و يحزن أحدا

و قال لقد شرح لي الله عز و جل هذه الآية الكريمة «جاء الحقُ و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» ثم قال ينبغي للطالب أن يتلو هذه الآية سراً من قلبه لا من لسانه و يرفع ضرباً على قلبه عند ما يقول «جاء الحق» و يضرب «الباطل» الى جانب ظهر عند قوله «زهق الباطل» و لحالك قليلا من الوجود أن يشرح بذلك قلب الطالب.

و قال أيضاً إن معنى لا إله إلا الله و معنى هذه الآية واحد و إنما الفرق إن النفي مقدم على الإيجاب في الأول و على العكس في الثاني

قال: كان يمكن في طريق ... و الناس يحسبون الظل ... و يحسبونه على مرتبة القرب كلما كمل أمر يرقبه كان ...

قال إن الناس يكونون في اضطراب و قلق عند المرض و ذلك لعدم الرغبة في الآخرة و عدم استطاعتهم إنقطاعاً كلياً من الدنيا و لكن إذا حصل لهم ذلك فإنهم دائماً يكونون في راحة و طمأنينة عند المرض و الموت

يقول خواجه سلام الله الدهلوي سأل واحد مرة من والدي هل هنالك أي نص على حدوث العالم فأجاب إن في هذا الحديث إشارة إليه و هو «كان الله و لم يكن معه شيء» ثم ذكر رواية من أبي ذر الغفاري رضي الله عنه يدل على ذلك دلالة واضحة

قال: كان هنالك ثلاثة أشخاص معروفين بإسم ضياء الدين في زمن الشيخ نظام الدين أولياء قدس الله روحه كان أحدهم الشيخ ضياء الدين برني و هو مؤرخ شهير في الهند و كان من أصحاب الشيخ نظام الدين المخصوصين

و أصحابه و تلاميذهم كان من مخالفيه و هو القاضي حسام الدين سامي و مع أنهم لم يكن من الموافقين و لا من المخالفين و هو الشيخ ضياء الدين نخشبي بدايوني صاحب كتاب سلك السلوك

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان الحرص و طول الأمل

أو كما قال صلى الله عليه وسلم

فيعلوم من هذا الحديث أنه تشب هاتان الخصلتان في أولياء الله أيضاً عند شيوخهم و هذه مشكلة خطيرة و حلها كما أرى أن سالكي هاتين الخصلتين ينبغي أن تكونا في عهد شباب الإنسان و لكن إذا تشبثهما الإنسان في شبابه فإنه يسره عن شغلهما في ما بعد و لو قال عليه الصلاة و السلام

يشيب ابن آدم و يموت لو بعثت فيه الخصلتان لكان الحكاية

و قال: ينبغي الهمة العالية أن يقطع الإنسان كليا عن جميع مراتب الدنيا و يصير الأشياء الظاهر خالقها و يلتفت إلى الله سبحانه و تعالى دائماً

و قال: يروى ذات يوم كان المسيح عليه السلام خارجاً إلى الصحراء فسأله رجل أين تقصد يا روح الله

فأجابه قائلا: هارب من هؤلاء السفهاء لا أعرف كيف أداويهم؟ و قد كنت أبرئ الأكمه و الأبرص و أحيي الموتى بإذن الله و لكني أعجز عن مداواتهم و هذا الذي دعاني إلى الخروج إلى الصحراء

قال: قال خواجه منها النبي يتقصدي كل ما سوى الله و يقوم غير الله و لابد أن يمكن مكلفا لا و لا يلتفت إليه. يقول خواجه سلام الله الدهلوي مرة كنت جالسا عند والدي و كان يعاني من مرض البطن في تلك الأيام فجاء رجل و وصف له دواء و قال إنه نافع جداً في مثل هذا المرض فالتفت إلي قائلا: كل ما أراد الله كائن لا محالة و كل ما كتب في القدر يصيب المرء و أي يوم يكون أحسن من ذلك اليوم الذي سألقى فيه الرحمن و ...

و قال رجل للخواجه لماذا لا تنبسط الحقائق و المعارف إلا قليلا في كتاب *فوائد الفؤاد* خصوصا كلمات الشيخ نظام الدين أولياء و لماذا كذلك؟

فأجابه قائلاً: إن ما كتب أمير حسن سجزي هو واقع و إنما تتعلق الحقائق و المعارف بحالة السكر و الوجد في أغلب الأحيان و إن أمير حسن اكتفى بذكر ما يجب للطالب.

يقول خواجه سلام الله الدهلوي: سأل واحد من والدي مرة هل هناك العداوة روحي لم ينقص في شأنها هذا العمل الصوري؟ و كنت أيضاً في مجلسه و قلت في نفسي يمكن أن يكون بعض أنواع من الجمال سبباً للانجذاب الروحي لبعض الأشخاص و كذلك على العكس. ثم قال خواجه: هب لو كان سبباً للانجذاب الروحي فلابد أن يحجب عنه أيضاً لأنه لا شيء فلا يحصل

ما سمعنا الحق و يقال ما لا يستحيه

يقول خواجه سلام الله الدهلوي كان لي خواجه كلمة الله يقول دخلت على والدي مرة و كان في يده سلكي (كراسة للمطرسلك الصلاة) و كتب فيه اشعارا جيدا و خطر ببالي لو رأيت فالتفت والدي الي و قال تعال انظر ثم اعطاني اياه فلما حصلت عليه خطر ببالي لو وضعت عندي لعدة ايام حتى انقل منه بعض الاشعار فالتفت الي على الفور قائلا خذه عندك لعدة أيام. ادركت مبلغ قوته الباطنة بهذه القصة

يقول خواجه سلام الله الدهلوي حضرت مرة في خدمة والدي و في يدي نسخة من نفحات الأنس تأليف الشيخ جامي إستفسرت منه بعض العبارات الغامضة الدقيقة فقام بشرحها شرحاً وافياً ثم قال ان الاستفادة من هذا الكتاب ستفيد منفعة يعجز عنها اللسان ملهمني ! أخشى أن اسأل شيئاً حتى لا يبقى جاهلا مثلي

يقول خواجه سلام الله الدهلوي ذات يوم كنت جالساً عند ابن الروحه و كان هو جالساً في المراقبة سقطت رأسه له وقعت الروحه من يدي على رأسه سقطاً فاهتم بذلك سائر الحاضرين و لكن لم يتحرك الخواجه شيئاً ثم قال رافعاً رأسه لا يخبر بشيء من يكون في حالة الاستغراق و الاستهلاك قال لابد للطالب أن يراقب على شيء

١ أن لا يجالس و لا يصاحب الرجال الذين لا يصاحبون مرشد و كذلك يمكن أن يصاحب أولئك الذين ينحرفون من أي طريقة و سلسلة صورة مطلقة مع أنه لم يرى الاختيار صحبة أولئك الرجال الذين يسافرون طريقة أخرى

و الأحسن أن لا يصاحب الطالب احدا في بداية الأمر الا أن يأمر مرشده و هكذا يحتمي بالسلسلة و يجذبها فيه قوة باطنة

٢ لا يسمع أمراً يصدر من المرشد و ان كان مكروها في بادي الأمر بل ينبغي له ان يبحث أولا عن محمله الصحيح أو يسأل عن مرشده عن ذلك

يكتب خواجه سلام الله الدهلوي مرة روى والدي قصة علي كرم الله وجهه التي علمه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسما أبا تراب

يقول خواجه سلام الله دهلوي مرة انشد الحافظ صادق و كان من أتباع والدي الصادقين هذا البيت لولانا رومي

علم حق در علم صوفي گم شود
اين سخن كي باور مردم شود

ثم استفسر منه معنا فالتفت والدي الي قائلا ينقسم القرب إلى قسمين الأول أن يكون العبد فيه ظاهراً و الحق باطناً و في هذا الشعر اشارة إلى هذا القسم و يدل الحديث القدسي أيضاً على ذلك و هو

و من يسمع و من يبصر و من يعقل و يدعي ذلك بقرب النوافل و أما الثاني فهو أن يكون الحق ظاهرا و العبد مستهلكا مستغرقاً باطناً و هذا الحديث يدل على ذلك إن الله ينطق على لسان عمر رضي الله عنه
و هذا يقال له قرب الفرائض و الآية الكريمة جاء الحق و زهق الباطل مشير إلى ذلك

خلفاء الخواجه باقي بالله

١ـ تاج العارفين الشيخ تاج الدين السنبهلي (رح)
٢ـ خواجه حسام الدين (رح)
٣ـ الشيخ اله داد الدهلوي (رح)

تاج العارفين الشيخ تاج الدين السنبهلي

بعد ما انتهيت من ذكر أحوال أبيه خواجه باقي بالله أحاول ذكر خلفائه بالبحث و كان من المناسب أن أقدم أولا مذكرة مجدد الألف الثاني و لكن لما كان هناك كتب مستقلة مفصلة في مذكرته و لا سيما طبع عدد خاص لمجلة (٢) الفرقان الشهيرة الأردية الصادرة من لكناؤ حول حياته و لذلك لم أكتب هنا شيئاً من حياته و لكن إذا رضي الله أرتب مقالة في هذه رسالة أما الآن فنذكر أحوال الخلفاء الثالث
١ الشيخ تاج الدين السنبهلي
٢ خواجه حسام الدين
٣ـ الشيخ اله داد

سنأتي بتفصيل إلى أحوال الشيخ تاج الدين السنبهلي (رح) على لسان الشاه ولي الله المحدث الدهلوي فهو يقول عنه كان الشيخ تاج الدين السنبهلي أول خليفة للخواجه باقي أقام أمراً في مكة المكرمة و توفي هناك و ما وجد هذا العاجز أحدا من مشايخ الهند يوليه أهل مكة تعظيماً مثل الشيخ تاج الدين السنبهلي و إنهم يذكرون كراماته الكثيرة
و قد مر ذات رجل اسم الشيخ تاج الدين السنبهلي مكتوبا في خطبة فسأل من الشاه ولي الله المحدث الدهلوي من هذا و طلب منه أن يعرفه و أقدم هناك ترجمة ما قاله الشاه ولي الله

> كان الشيخ تاج الدين السنبهلي من مشائخ سنبهل عمليا من بيت الصحب و هو الأخ الأكبر للشيخ أحمد السرهندي و خليفة من خلفاء الخواجه باقي بالله و مرشد الأذكار المنسوبة بالنسبة الشيخ تاج الدين عن و الذي عنده الرحمة التي أخذها من خواجه حرد و أخذها خواجه حرد من الشيخ تاج الدين

> مدة وابنه و ذهب الشيخ الى مكة المكرمة بعد ما توفي
> خواجه باقي بالله و استوطن هناك و استفاض منه اهل مكة
> و شاهدوا خوارق كثيرة و ابدى سلطان الروم من الكرامة
> له شيئا و كتب الشيخ من خوارقه على لسان اهل مكة و انتقل
> الى جوار رحمة الله سنة ١٠٥٠ هـ (٤) و على مسجد جبل
> المعلاة بمكة و المرقد يزار الى الآن

(مكتوبات فارسي شاه ولي الله الدهلوي مطبعة مكتب مجتبائي دهلي)

و يكتب عنه في الانفاس

> يقول الراقم ان الشيخ تاج الدين السنبهلي كان من خلفاء
> خواجة باقي بالله و له كتب في الاشغال النقشبندية و كان
> والدي الشيخ عبدالرحيم الدهلوي يحبه كثيرا و نقلها عنه من
> بعض أصحاب الشيخ تاج الدين و كان يرشد مريديه في طريقه
> و مرسمه تراجمه مفصلة جدا و مراسلة من قبل الانساب في
> سلاسل اولياء الله كاملا و نكتب في موضع من هذا
> الكتاب
> و الشيخ عبدالله اخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بالمسر المكي
> عن الشيخ تاج الدين السنبهلي مرتل بمكة عن الخواجه
> محمد باقي بالله

تعالوا لنسمع الان عدة كلمات عن الشيخ تاج الدين السنبهلي بلسان علامة العصر السيد مرتضى البلگرامي ثم الزبيدي شارح القاموس الذي قضى جزءا كبيرا من حياته في السفر و الحجاز و مصر و تعرف بذلك علماءه فلذا يكتب في كتابه «النفحة القدسية»

> إن الشيخ تاج الدين السنبهلي نشر الطريقة النقشبندية في
> انحاء بصرة و اليمن و الاحساء و نجد و الحجاز و كان عدد
> كبير من مريديه في هذه الاماكن

(ماخوذ من روض كوثر ص ٤١)

رسالة من مجدد الألف الثاني إلى الشيخ تاج الدين

يوجد في المجلد الاول للرسائل رسالة وجهها مجدد الالف الثاني الى الشيخ تاج الدين فود ان اقدم بين ايديكم عدة سطور منها مشتملة على الانس الخاص و الإخلاص و المحبة و هي تدل ايضا على فضله و مكانته الرفيعة ولعله كتبها عند ما انتهى الشيخ من السفر الى بلاد الشام و الحجاز و أراد الرجوع الى الهند فانتظروا كيف مخاطبه باسلوب عاطفي

> المسالك و صلاة على صاحبه النبي المصطفى لقد فرح المحبون و الأصدقاء كثيراً بخبر الوصول لله سبحانه الحمد و المنة على ذلك و أسف يا سيدنا هل الشمس بعد طلوعها من جانب الشرق أمسى مستقراً لم الشمس للزوال في العالم قاصداً من جانب بلاد الشام و لذا كتب اليها المفضل لسرع ما يمكن لذا فسرور الأصدقاء تستقرل بلطف و سرور استماع أخبار حسب الله بخدمة

و هنا أقدم اقتباساً ما كتبه الشيخ محمد هاشم الكشمي في زبدة المقامات

> كان الشيخ تاج الدين من أبناء السلطنة و الأشراف و أعظم خلفاء الخواجه في الهند بايع أولاً على يد الشيخ اله بخش كركميشري و كان الشيخ يولي شفقة و عناية و أحال مقامه الى خواجه بعد ما توفي الشيخ رغم أنه كان من خلفائه و اختار صحبته و أحب الخواجه ذلك و أثنى عليه حضوره و إكراماً و جعله يجالس خلوته و مؤانس مجلسه الخاص و يقولون إنه لم يكن أحد من مريدي خواجه أقدم منه صحبة و لم يكن أحد سرا يجري على استشعار أحواله و مسالك أسرار

يقول الشيخ الكشمي إني سمعت من الشيخ تاج الدين يقول لما منح الخواجه على منح الإجازة لي خطر ببالي لو رأى الشيخ تاج الدين فيما في المنام أو أحدا من كبار النقشبندية ما قال لي لكان جيداً فرأيت في المنام أني في مجلس أصحابه و هو يضع القلنسوة على رأسي و أولاني مشيخة و طريقة و لما ذكرت قصة هذه الرؤيا أمام الخواجه ابتسم فمن كل ما خطر ببالي بعد ذلك و لما منح الخواجه الإجازة لاح من عطر الشيخ تاج الدين تأثير جديد بسبب تأثير الخاطفة على كل من يطلب الطريقة و بدأ يظهر عليه الأحوال على الفور

و سافر إلى السند بعد ما حصل على الإجازة و لما استعد الى الإرشاد هناك لامه بعض حساد فكتب الى شيخه مستفسراً عن لوم العارفين وغيرهم فأرسل اليه كتاباً مفصلاً رداً على ذلك و أذكر فيما يلي عدة جمله

> لا تنظروا الى ملامة أهل سهل و ارحموهم لأنهم (الحساد) انحرفوا عن العقل السليم و الحمد لله أن تحمل الطعن و الملامة سيرة أولياء الله و أني رأى خاص في هذا الصدد فلست أفكر في نفسي عندما يلومني أحد ليكشف لي عيب من العيوب و أرى هذا اللوم موهبة في حقي و أعتبرني ملاذا عليك من

فلماذا أهل سبيل؟ ألم يقبل سابقك؟ ألم يأخذ منك العهد أم
تكون مطروداً من عند الله   محتوم سرا و [illegible]

والسلام

و لما توفي الخواجه عزم الشيخ تاج الدين على الرحلة فسافر إلى بلاد الهند و كالعبير و تشرف بزيارة الحرمين الشريفين و تكون ارتباط خاص به من سكان الحرمين و استفاد منه الشيخ علان الذي كان من أكابر القوم وليس له قرين و لا مثيل في العلم و العمل و التقوى و الرياضة و كان الشيخ محمد يميل إلى الطريقة النقشبندية قبل ذلك و قام بترجمة كتاب رشحات في اللغة العربية أيضاً ليطلع العرب على حسن أطوار أكابر النقشبندية ولطائف أقوالهم و علو أحوالهم و يتمنى في نفسه أن يأتي أحد من كبار هذه السلسلة في الحرم فيتلقى منه هذه الطريقة فلما وصل الشيخ تاج الدين نزل على الشيخ بإخلاص تام و صحب الشيخ تاج الدين يقول أن العرب كانوا مخصوصين الشيخ محمد علان و توفي الشيخ محمد سنة ١٠٣٦ هـ و جاء الشيخ تاج الدين مرة أو مرتين إلى الهند من الحجاز ثم رجع إليها و ذهب أميراً إلى ولاية لها و بصرا و اتصل هناك بمجد مقامهم و أصبح حاكمها محباً له و كان يصلي أصحابه في بصرة راسخاً لأسباب الثقة الحرمين بالرحلة فترك الشيخ [illegible] من المخمصة و [illegible] المعظم و لبس الإحرام و توجه إلى بيت الله الحرام و روضة النبي عليه الصلاة و السلام راكباً على الناقة مع [illegible] في حالة الفقر يقول صديق لي يدعى صالح و الحقيقة كان له [illegible] عليه [illegible] و رزق الشيخ في الفتح سنة ١٠٤٢ هـ عند العرفة و قد أسلم [illegible] لطول الزمان [illegible] الوجه مأمن الرأس [illegible] و [illegible] كثيرا عند ما رأيته يقول صالح قال لي الشيخ لقد حسب المدن البعيدة و الصحاري [illegible] و الآن لكنني [illegible] حتى أموت

و يكتب الشيخ محمد هاشم الكشمي في النهاية

أبقى الله هذا التذكار الباقي إلى مدة طويلة و ألف الشيخ كتباً مفيدة و إنه قام بترجمة بعض كتب النقشبندية في العربية ليستفيد بها العرب و كتب كتاباً رداً على من زعم أن طريقة الإرشاد و الإرادة [illegible] و [illegible] من السنة

أخبار تاج الدين السنبلي كما ورد في السراوية :

نسرد فيما يلي ما كتب السيد كمال السنبلي من أخباره في كتاب السراوية و كان من نفس بلاده

يقول خواجه [illegible] أن الشيخ تاج الدين اصطحب الخواجه [illegible] كثيراً

العالية و مراتب خواجه حسام الدين بعد ما توفي مرشده الشيخ اله بخش
كركهيتري و كان قد انتهى من سلسلة سلوك طريقتها عنده و عرف
بمراتب عالية و لطائف لم يسعها في مدة قصيرة و كان أصحاب الخواجه
يشكون بسبب الإتصال معه و انتسابه الى الفرع الشطاري بعد سنوات من
وفاة الخواجه و مقام هناك مدة طويلة و اصطحبه كثير من الناس
و استقاموا بالطريقة النقشبندية و الشطارية كان شيخ الحرم لعصر
و كان من كبار الصوفية و أصحاب المؤلفات القيمة

و قال مرشدي أيضاً أن الشيخ تاج الدين قال إن طريقة النقشبندية أرفع
من الطريقة الاسماعية و الطريقة الحسنية هي أرفع من طريقة الكعبة أيضا
و فارق الشيخ تاج الدين هذه الدنيا يوم الجمعة قبل الغروب ١٢/جمادى
الأولى سنة ١٠٥٠هـ و دفن قريبا من الحرم في ذلك الرباط الذي بناه
بنفسه في مكة المكرمة يوم الخميس سارس ١١/ جمادى الأولى يزار و يتبرك
به (سرارها قلمی)

ترجمته كما وردت في المجلد الخامس من نزهة الخواطر :

تحدث الحكيم السيد عبد الحي الحسني ثم اللكنوي عن أحوال الشيخ
تاج الدين السنبهلي بشكل شرح و تفصيل في المجلد الخامس لكتابه الشهير
نزهة الخواطر (٤) الذي يشتمل على تذكرة أعيان و أكابر الهند من القرن
الحادي عشر للهجرة و أن هذا الكتاب مرصعا بمعلومات كثيرة لا توجد
فيها سواه من الكتب

الشيخ العالم العارف تاج الدين بن زكريا بن سلطان العباسي
النقشبندي الحنفي السنبهلي الولي المشهور ولد و نشأ في بلدة سنبهل (٦)
و قرأ العلم و ساح البلاد في طلب شيخ الطريقة فلما وصل الى أجمير تلقى
من روحانية الشيخ معين الدين حسن الأجميري طريق السلوك و الإنتساب
على كيفية مخصوصة في الطريقة النقشبندية تسمونها حفظ الأنفاس و أمر
أن يجلس و يشتغل في الذكر في بلد ناكور فلما قدم الشيخ حميد الدين
الصوفي الناكوري فسافر الى ناكور و أقام فيها يشتغل بالذكر مدة مديدة
ثم خرج في طلب شيخ فساح في الجبال (٧) و البراري و الأطوار و الأنجاد
حتى وصل الى الشيخ الله بخش الشطاري الكركهيتري فطلبه الشيخ بحسن
القبول و أظهر له إنه كان منتظراً له و كان طريقة الشيخ أن لا يلقن أحدا
الا بعد ابتلائه في الخدمات و الرياضات الشاقة التي ينكسر بها النفس
و يحصل بها التزكية فكان يحمل الماء إلى المطبخ فوق طاقته فبعد ما تم له
ثلاثة أشهر قال له الشيخ قد تم أمرك ثم لقنه ذكر النقشبندية فاشتغل به
و لم يزل في خدمته حتى وصل الى الكمال و التكميل و أجازه الشيخ بالطريقة
الجشتية و القادرية و الشطارية و المدارية و حصلت له الإجازة من رجال كل

فرسل و كذلك حصلت له الاجازة في الطريقة الكبروية من روحانية الشيخ
نجم الدين الكبرى و له رسالة في بيان سلوكهم و كان حرم الشيخ عمر محبي
... ثم وصل الشيخ الأجل عبد الباقي النقشبندي بلاهور كتب اليه كتابا
و كان الشيخ تاج الدين حينئذ في سنبل فلما اتاه كتابه عزم على زيارته فلما
وصل إليه توجه الى سلوك الاكابر النقشبندية فتم سلوكه في ثلاثة ايام ثم
اجازه الشيخ بتربية المريدين و هو أول من اجازه و صحبه عشر سنين
و كانت نسبتهما نسبتهما كنسبة [illegible] لا يدري ايهما عاشق و ايهما
معشوق و كانا ساكنين في بيت واحد و يرقدان على سرير واحد فلم يزل
مقيدا بالسلوك سنوات [illegible] بعد ما اجازه الشيخ عبد الباقي
المذكور و رخص له و كان مشغولا الى الاكابر النقشبندية هم ارباب الخير
و يذكر ان بعد اجازة الشيخ اشتغل بالتربية على طريق الاكابر و كان إذا
اتاه طالب يريد الطريقة المختلفة او غيرها [illegible] فيها و يربيه حتى انه
في بعض الايام حضرت روحانية الشيخ الكبير عبيد الله الأحرار رحمه الله
للشيخ عبد الباقي رحمه الله تعالى و قال إن تاج الدين ماكل من مطبخنا
و يسكر [illegible] خارجا عن النسبة فقال الشيخ عبد الباقي رحمه الله
[illegible] الى حين أخبر فكتب اليه هذه الواقعة فترك كل ما كان
غير هذه السلسلة و حصر التربية و التلقين فيها فلما توفي الشيخ
عبد الباقي رحمه الله [illegible] و جرى عليه [illegible] و بعد في
[illegible] فسافر الى بلاد الهند و العراق و العرب حتى القى عصا التسيار
بمكة المشرفة و سكن بها و أخذ عنه خلق كثير من العلماء و [illegible]

قال ابن فضل الله المحبي في خلاصة الأثر انه كان شيخ الطريقة
النقشبندية و [illegible] الارشاد الى [illegible] للسالكين في السلوك و واسطة
الامداد للمواهب الرحمانية من تلك الملوك و بيتها كبيرا [illegible] حسن التربية
و الدلالة على الوصول الى الله تعالى صحبه خلق كثير من المريدين و من
صحبه و ترجمه الاسلام [illegible] أبو الوفا العجل العجل [illegible] احمد المذكور
و الشيخ محمد [illegible] بن محمد المعروف العروضي الدمشقي و الامير يحيى
بن علي [illegible] و غيرهم و الف كتبا منها تعريب النفحات للعارف
عبد الرحمن الجامي و تعريب الرشحات و رسالة في شرح [illegible]
جمع فيها الكلمات القدسية المأثورة المروية عن حضرة الخواجه عبد الخالق
الغجدواني التي عليها الطريقة و شرحها احسن بيان و الصراط المستقيم
و النفحات الإلهية في [illegible] و جامع الفوائد و قد افرد
ترجمته تلميذه السيد محمود بن الشريف الحسيني (٨) في رسالة
سماها تحفة السالكين في ذكر تاج العارفين و قد نقل المحبي عن
الرسالة المذكورة نبذا من كشوفه و كراماته لاستطال الكلام بذكرها
و قال الشيخ احمد العطار المكي في بعض رسائله و هذا الشيخ

تاج الدين رحمه الله ونفعنا به في الدنيا و الآخرة كان وليا لله عارفا به اقام بمكة المكرمة على طول الف و اربعين من الهجرة سنة [illegible] و مات بها [illegible] الشيخ ولي الله الدهلوي عن شيخه ابي طاهر بن ابراهيم الكردي المدني

و قد أخذ عنه غير من ذكر الشيخ عبد الباقي بن زين المزجاجي الزبيدي و الشيخ عبد الله بن الشيخ [illegible] عبد الله بن عبد الرحمن [illegible] و الشيخ محمد علاء الملكي [illegible] و الشيخ ابراهيم بن حسن الحنفي الاحسائي و الشيخ ابو بكر بن محمد بن ابي بكر [illegible] و الشيخ عبد الله بن محمد باقي الدهلوي و السيد محمود [illegible] الحسني الاسروشي و خلق كثيرون و من مصنفات [illegible] رسالة في انواع [illegible] و كيفية [illegible] و رسالة في كيفية [illegible] و اخرى في انواع الطب و ذكرها [illegible] الاسروشي في [illegible] السالكين

من الفاتحة الشخصية

من الفاتحة [illegible] ما قال في [illegible] رسالة في سلوك الطريقة النقشبندية اعلم وفقك الله ان [illegible] قدس الله اسرارهم هو معتقد اهل السنة و الجماعة و طريقهم [illegible] التي لاتصور [illegible] هذه [illegible] عن عبارة عن دوام الحضور مع الحق [illegible] شعورا بالغير مع الدخول في هذا الحضور [illegible] و لا يحصل هذه [illegible] العظيمة بغير [illegible] الالهية و لا [illegible] في طريقتنا [illegible] من صحبة الشيخ الذي سلوكه بطريق [illegible] قال الشيخ ابو علي الدقاق قدس سره [illegible] التي [illegible] لا ثمر لها و ان كان لها ثمر يكون [illegible] على انه لابد من [illegible] الوالد و [illegible] الوالد و الوالدة كذلك [illegible] حصوله بغير المرشد [illegible] قال في الرسالة [illegible] من لا شيخ له فالشيطان شيخه [illegible]

توفي قبل غروب الشمس يوم الاربعاء [illegible] من جمادى الاولى سنة [illegible] و ألف و دفن صبح يوم [illegible] في [illegible] في [illegible] جبل [illegible] و [illegible] جبل مكة و [illegible] لأن [illegible] فقطعوا بالسلاح كما في خلاصة الأثر

خواجه ابيار و مولوه حسام الدين احمد،

بكتب السيد كمال [illegible] في [illegible]

كان خواجه حسام الدين من كبار أصحاب خواجه باقي بالله و [illegible]

أهل التصوف و ينتهي نسبه الى خواجه شمس سمرقندي رحمه الله و كان الإمام والده مير القزويني من أحفاده للأم و سر أجداده من كل من مصاحبي سلاطين تيمورية و أمرائها و كان مبارك شاه (جد أجداده) يحظى بمكانة و كرامة عند صاحب القران تيمور و سيجد ذلك من تلك الفرامين التي صدرت باسمه و إستمر أمره حتى نظام الدين احمد خان ملقب هاري خان و هو من أمراء الإمبراطور اكبر و أكابر علماء عصره علما و معرفة

ولد خواجه حسام الدين أحمد سنة ٩٧٢ هـ و يتصل تاريخ ولادته بكلمة شيخ جنيد

و ذات مرة سأل مير نظام الدين أحمد ابنه خواجه ابرار و كان له يومئذ خمس سنوات من العمر قائلا:

اي شيء أحسن في هذه الدنيا؟

فأجاب الولد الذكي مرتجلا: ذكر الله و حبه

و لما توفي مير نظام الدين أحمد سنة ٩٩٦ هـ او سنة ٩٩٢ هـ(٩) فأدخل الامبراطور ابنه خواجه ابرار في زمرة الأمراء على أنه مير بالمدينة الجديدة و لما بلغ من عمره الطفولة بدأ يتظاهر بنفسه بأنه مجنون و يمشي بأعمال يخالف الأحكام الصادرة و حتى يخالف قوانين الحكومة و دستورها و قدم يوما أمام الإمبراطور في مثل هذا الحال و كان يومئذ يوم نوروز و بدأ ينظر يمينا و شمالا كمجنون و أنشد هذا الشعر أمامه

أمس هنا نظرا إلى كل المكون
دوره سبب يبكي أهل جنون

فلما أحس الامبراطور أنه يتظاهر أمام الناس كمجنون على غير حقيقته و هو لا يرضى بمنصب الإمارة فرخصه و عزله عن الإمارة فاستبدل الدنيا بالعقبى و دخل على خواجه باقي بالله و نال التوبة و الكمال في مدة قصيرة

قال مرشدي خواجه خورد ان خواجه حسام الدين أحمد قال لم يحصل لي فرح و سرور قط مثلما حصل لي يوم أعفاني الإمبراطور وخلصني و خلصني من الانشغالات و المنصب

قال مرشدي أيضا لقد رأى خواجه حسام الدين أحمد ليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام و هو يقول ان والدك لقي عداوة و جفاوة من الناس و بقي لكثير منه مظلوما و قال مرشدي نقلا لم ينتسب خواجه ابرار الى المشيخة و الارشاد رغم أنه حصل على الاجازة من خواجه الاكبر و عاش حياة نادرة و غلب عليه حب الله و قام بأعمال و رياضات لا يمكن عليها عامة الناس و له دور في كفاية العائلة و ترتيب السلطنة و أصبح خليفة خواجه الاكبر بعد ما توفي و كانت له نسبة خاصة بخواجه الاكبر و كان دائما يشوق الى سماع أحاديث مرشده

قال لي شيخي ذات مرة فرق خواجه الأكبر بين خواجه حسام الدين أحمد و الشيخ تاج الدين السنبلي على أن خواجه أكثر من الشيخ علماً و معرفة و مقولة الشيخ في الحال و السيرة الروحية

قال لي شيخي الله ... خواجه أبرار في المنام و طلبت منه أن يعلمني الطريقة فقال أنت ...

قال لي مرشدي رأيت في المنام أن وجه خواجه أبرار متلألأ كالبدر

قال مرشدي سألت خواجه أبرار هل المحبة أفضل أم المعرفة أجاب المحبة أفضل

قال مرشدي لقد وضع خواجه الأكبر يده على ... خواجه الأبرار حين الوفاة و أخذ يده في يده

قال مرشدي أن كل ما أعطي به من إيمان و علم و طريقة و زهد يعود الفضل في ذلك إلى خواجه أبرار

قال مرشدي ذات مرة قال له الناس أن شاباً ... ثلاثة ... مرة في ذلك ؟ فأجاب أنه معروف الساحة فتعجب الناس من هذا الجواب لأنه لا علاقة له بالسؤال مع طول نفس السؤال فرد عليه نفس الجواب و لم ... أيام حتى ذهب ذلك الشاب إلى النهر ليغتسل فغرق فيه و مات

و لما ... المرض ... من ... قال يوماً لابنه خواجه سراج الدين محمد أن أبي انتقل إلى رحمة الله و كان يومئذ ابن خمسة عشر سنة و كذلك اليوم أنت أيضا و ... حتى ... الأيام و ... إلى ... الأصحاب ... لمولانا ... في ...

و يقولون أحمد ... أفضل الذي كان رجلا ... في ... من ... هذا ...

دل آرائی که داری دل در و بند
دگر چشم از همه عالم فرو بند

فاضطرب خواجه ... لأن هذا الشعر يكشف عن ... في ... فقال رجل ... ... خواجه ... و لا ... قلنا له ... من الدنيا ... خواجه ... هذه المقالة و ... و ... الفرح و السرور عند ذلك و ... إلى رحمة الله في نفس اليوم شهر صفر سنة ١٠١٢ هـ (١...) و نقل تابوته إلى دهلي بعد مدة و دفن بجوار قبر خواجه الأكبر

و يكتب السيد كمال ... في آخره كنت جالساً يوماً في مجلس خواجه ... إذ جاء خواجه حسام الدين أحمد و سأله ... من هذا ... ؟ فأجاب هذا من مريدي هذا الفقير ثم قال شيئاً و كنت جالساً ... و كان خواجه ... في

و كتب ... في شرح ... الواضح من ... في ...

شبابه و كان شيخا طاعنا في السن و ذهب بهذا الفرح إلى سيدي خواجه أسرار ففرح كثيراً و شجعني و شكر الله عز و جل و قال هذه النكتة التي حصلت لك هي موهبة من عند الله عز و جل و من المصلحة أن تحفظها عندك أبدا و لا تبديها أمام الناس لتبقى من حسد الحساد و سوء نظرهم

و قد تبين أصابة النظر السوء من هذه الآية في سورة يوسف ما يلي
لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرقة (سورة يوسف)

و ذات يوم جرى الحديث عن التصوف عند خواجه أسرار فقال يمكن الحصول على حقائق هذا العلم و دقائقه من خواجه حسام الدين و أن هذا العلم الذي أصبح نادراً جدا في هذا العصر خواجه فرد بكماله

أخباره كما جاء في زبدة المقامات

يقول الشيخ الكشمي

ان خواجه حسام الدين من أعاظم خلفاء خواجه مرشدنا و كان أبوه يدعى بالقاضي نظام الدين بدخشاني و هو كان من تلاميذ الشيخ محمد تركستاني و الشيخ أحمد جند و كان له أيضا عدد كبير من التلاميذ و قدر القاضي نظام الدين بدخشاني أنه دخل في زمرة أمراء سلطان الهند أكبر و توفي سنة ٩٩٢ هـ و بعد ذلك أصبح ابنه خواجه حسام الدين مقلدا لمنصب الامارة و المنصب و لكن قلبه كان مشغوفا بحب الفقراء و المساكين و مع ذلك و وصل الى خدمة خواجه قدس الله سره في تلك الأيام و غلب عليه نزعة الزهد تاركة مقاليده ثم سافر الى ماوراء النهر حتى يستغرق في الزهد تدريجيا و ترك الامارة و الوظيفة وراء ظهره و اختار الملابس الممزقة كالفقراء من لبسهم تاركا المنصب و المال و كان السلطان يوليه ثقة زائدة و علاوة على ذلك كانت له مصاهرة مع ركن السلطنة أبي الفضل (١١)

و حاول السلطان و أبو الفضل و عائلتهما أقصى الجهود لينصرف من الزهد إلى الامارة و الثروة و لكن لم يجد ذلك شيئا و تحمل خواجه في هذا الصدد صعوبات عظيمة و لكن لم ينحرف شيئا عن طريقه بل استقام تماما

و بعد مرافقة رجوع خواجه من ماوراء النهر أكد الأمر و اختار الفقر و الترك فلما رجع داوم على خدمته ملازما و تلقى منه الأذكار و المراقبة كاملا و قال كان أبو الفضل يراقبه في تلك الأيام أيضا فشكاه خواجه أسرار أمام المرشد مستنيرا و قال لا تحضر عندي أمر نحوها فحدث كذلك و قتل أبو الفضل في تلك الزمن و قد قام بخدمات خواجه سنوات عديدة و أصلح أحواله و أطواره و أتى الشيخ له المبايعة أيضا و لكنه لم يحضرها بسبب مراعاة الغير و لكنه لم يلق الذكر الا رجلا واحدا إمتثالا بحكم خواجه ثم اعتذر من خواجه قائلا لا تكلفني هذا الأمر فإني معذور عنه فلما رأى خواجه أنه لا يرغب في ذلك تقبل عذره و جلس صامتا ثم قال إنه أحسن

حيث سعى من هذه المنزلة و كان خواجه حسام الدين أحمد من رواد خواجه
النقشبندية خلال مرحلة التي مرض فيه و تطرق بالكلمات كثيرة و تم
عمليا بكتابه و مجهوده و تنظيمه حسب مطبوعته و مازال يخدم أخويه
الكبيرين خواجه الأكبر و خواجه الأصغر (خواجه كلان خواجه خرد) بعد
وفاته و أشرف جهوده في حقهما و لقد شكر مجدد الألف الثاني خواجه حسام
الدين أحمد في كتابه التي وجهه الى أنه مرشده بعد الكمال الدنيا
جزى الله تعالى خواجه حسام الدين محمد أحسن الجزا حيث كفل نفسه لتلك
الأمور التي تلزمني و لازم عمه خواجه حتى الحمد
يكتب مولانا الكشمي

من عادة خواجه حسام الدين أحمد أنه يصلي الفجر في مسجد صرور
أيامي ثم يراقب قليلا و يتجه الى ضريح مرشده بعد صلوا الاشراق ، مطبع
هذا الوضع على حالة على تقريباً خارج مدينة صرور أباد و
يلبس طول النهار مشغولا بالتلاوة و العبادة و المراقبة و يتلو خمسة عشر
جزءا كل يوم من القرآن الكريم و يطالع مع أصحاب من مكتوبات المشايخ ثم
الترجمة ثم يرجع إلى بيته و يتعهد عائلته و لكن لا يزال عنده مستعد فيرجع
الى الضريح قبل الوقت العصر و يؤخر أعماله الضرورية ثم يقوم بتلاوة و اكرام
ضيفه

و بلغت الشفقة على خلق الله الى درجة كان يكتب التوصيات الى
الأمرا و الأغنيا اذا جا ذو حاجة رغم أنه كان يكرههم فقيل له في
مجالسه الاخرى بعض الأصحاب توصيات و طلبوا منه ان لا يكتب لاحد و لكنه
كان يضطر إلى كتابتها اذا جاءه سائل ذو حاجة لأنه كان مفطورا على شفقة
خلق الله عز و جل و انه يعتبر حق النعل بالعمل مع مرشده في هذا الصدد فان
مرشده أيضاً كان يسام الفقرا و المساكين في قضا حوائجهم عند الملوك
و ذات مرة قال لخواجه أيضا ان صحابة العرض بين لازم و المصرا
منه أن لا يكتب التوصيات فقال سلفا يتعدى ذلك العرض الذي لا ينفع المسلمين
و لا يحضر به قلوبهم ولقد حدثت كدورات بينه و بين الجهة لعمه تمام بعد
خواجه الأكبر و لكن إذ يتسع عبارتها تجبرا بفضل الله و حسب الإخلاص
و الصفاء بعد بينهما حتى أنه بعث ابنه الأكبر الى حضرة مجدد الألف الثاني
لمرشده فلولاه خلقا و صابة و تمتلي عند العتبة أيضا من الكتب الذي
وجهه خواجه ابرار رداً على كتاب الشيخ تاج الدين السنبهلي خلف كتب في
الحو

فالذي نعما الأولياء بالطلب الصادق مع السادة الآخرى و إني
عرفت أن الشكر و البعد عن الأبرس سيدي الأولاد في حق العروبة و قد
انتقى ابني الى سرهند مأذن الشيخ اله داد و نقل رسالته على ما كان يسطي
به من المعطا و ما كان الشيخ أحمد سرهندي يوليه من الاهتمام و انه أنانى

عليه الدعاء و الإلتفات في وقت سلامتي و ملازما على ملك أن ذلك المعاملة التي كان الشيخ أحمد السرهندي يقوم بها ازاء مريدي مولانا و أسرته موجب الشكر و الإمتنان و جعلت قيم الألطاف الإلهية و الرقي العظيم و المشهور بالذكر انها ظهرت في حلقة السرهندية و انه يراعي ظاهر الشريعة الى حد ان أصحابه و سالكيه لا يحيدون في هذا الصدد و لا تسأل عن مريديه فإنهم كثيرون و لايزالون يرتقون يوما فيوما

يقول مولانا محمد هاشم الكشمي بعد ما كنت أذهب من برهان بور الى سرهند في خدمة الشيخ أحمد السرهندي فأبلغ في مجلس خواجه حسام الدين أيضا فقال بعد ذلك مع الكلمات الناصحة الكثيرة لحسن ان حرصت على الحضور عند حضرة المجدد و فيما أرى انه لا يوجد على وجه الارض من يقوم بترسمة لعل الحق مثله لأن له مرتبة عالية في علم الدين و اتباع السنة أيضاً و مطلع على خفايا الطريق الباطن و ان الأوصاف التي من يذكرها يسار فيها خواجه احمد رغم ان خلفاء و الآخرين يحظون بالسمعة العلمية و يستطيعون ان يظهروا طالبي الصبر

و لما اختار مجدد الألف الثاني صحبة الإمبراطور جهانكير بعد العفو في حصن كواليار و شاعت الأخبار انه يريد ان يلقاه حول هذه الرحالة فكتب المجدد الى خواجه حسام الدين مبشرا في هذا الصدد و أقدم فيما يلي اقتباسا مما كتبه خواجه ابرار ردا عليه

لقد سررت و سررت بما كتبت الي و لاسأل عن الفرح و الإنبساط الذي غامرني عندما شرفت بنبأ اطلاقك من قيد الإمبراطور و ما أحسن لو جعلت الإقامة في محلي بعد ميعاد بعد الرجوع من الهند و تختم هذه الخدمة بحضورك و أنوارك و لو كان كذلك ليكون أحسن و لو رضيت الماكث هناك لكان خيرا و مطلق لسوال الذوق و الطلب من أمري و هكذا يفوح الطيب من الأزهار الجميلة و من الله احبابك بوصال و كما فرح الآن بعد اطلاقك فالمستقبل العيون من وصلك حتى تنال حظها و اكتفي بذلك لظل الله بقاءك

يكتب الشيخ الكشمي و ممتلئ الإخلاص الوافر من رسالة المكتوب الذي وجهه إلى خواجه حسام الدين احمد بعد وفاة المجدد و أقدم هنا عدة كلمات من تلك الكتاب

لم تكن وفاة المجدد مصيبة لمحبيه و خدامه فقط بل ليحمل هذا الحزن الفادح كل من ينتسب إلى الإسلام بصلة ما و ينبغي لكم ان تشكروا الله الف مرة على انه منح لكم فرصة الإستفادة من بركاته و كمالاته

يكتب الشيخ الكشمي ان خواجه حسام الدين احمد يراعيني كثيراً فإنه وجه الي عدة رسائل و كان يكتب إلي فيها لأكثر بعد ما تيسره عندما كنت مقيماً عند صحبه و كان يركز على استقامة القدسية و اتباع الصحابة

و رأيته في المنام أحيانا و نصحني و أنه مستحب الحضور كثيرا و أنه يطلب مني أن أكتب إليه الأسرار في الرسائل لبعض الأحيان

يكتب الشيخ الكشمي رحمه الله بأنه يوم كنت جالسا في خدمته إذ بدأ أحد من الحاضرين يشكو الأمراء و الأغنياء المعاصرين على أنهم لا يرتبطون بالفقراء و المساكين و لا يكرمونهم كما كانوا يكرمونهم فيما سبق من الزمن

قال خواجه حسام الدين أحمد يا أخي اصبر فإن ذلك من حكمة الله و هذا شيء حسن في حق فقراء هذا العصر من الأغنياء لا يلتفتون إليهم و كان الفقراء في الزمن الغابر مستغنين عن فقراء هذا الزمان فإنهم كانوا يتجنبون الأغنياء و أصحاب الدنيا فكلما كانوا يفرون منهم هم مستغنون عنهم و لكن الفقراء في هذا الزمان ليسوا كذلك فلو مال إليهم الأغنياء لاختلت أحوالهم و تشوشت أحوالهم و هذا من فضل الله أنه جعل قلة عناية الأغنياء و عدم رغبتهم حفاظا على الفقراء و إلا يخاف أن ينحرف كثير منهم عن طريقهم بسبب مخالطة الفقراء و أمرا [illegible]

الآن حينما [illegible] و ساعدني خواجه حسام الدين من عمره [illegible] سنة من تكلم و أدعو الله أن يفضل علينا بين أصحاب خواجه باقي بالله

رسائل المجدد رحمه الله - إلى خواجه أبرار

و إن الرسائل التي وجهها المجدد رحمه الله إلى خواجه أبرار تستطيع بصحبته ملفقة و هي باب أهميا كبيرة و عددها كما يلي

عددها في المجلد الأول ٦

عددها في المجلد الثاني ٢

عددها في المجلد الثالث ٣.

ورد ذكر خواجه أبرار أيضا خلال تلك الرسائل التي وجهها إلى أبناء خواجه باقي بالله و أنه ذكر باسم ميرزا حسن في رسالة إلى أبناء خواجه و في بعض الرسائل ورد ذكر باسم ميرزا حسام الدين أحمد و توجد رسالة أو رسالتين باسم أمه خواجه جمال الدين أيضاً

و أحاول إن شاء الله بعض هذه الرسائل بشيء من الشرح و التفصيل خلال مذكرة الشيخ إله داد

الشيخ إله داد [illegible]

يكتب الشيخ كمال الكشمي في [illegible]

كان من أكابر أصحاب شيخ البداد خواجه باقي بالله و بلغ إلى قمة الولاية بسبب الطاعة الكاملة و صحبته المتصلة و دوام حضوره

و قال مرشدي خواجه [illegible] لا يسعني الثناء على الشيخ إله داد من

حسب كراماته و خوارقه و الطريقة التي تشرفت بذاته قال لي مرشدي يقول خواجه أبرار (خواجه حسام الدين الدهلوي) لما رأيت شيخ الهداد في بداية الأمر في غاية من الصلاح و السلامة و مشغلا بمواصلة و استقامة مالكي قلت في نفسي هذا أقصى مراتب أولياء الله ، لكن رأيت فيما بعد بوجهه أعلى من ذلك ببركة صحبة خواجه

قال مرشدي يقول خواجه باقي بالله من شيخ الهداد انه يتصف بالأوصاف الملكية بسبب غلبة لطافته و قال خواجه أبرار من الإمبراطور شاهجهان انه في هذا العالم في باطن الأمر و لكن أحواله تناسب بالعالم الآخر في حقيقة الأمر

قال مرشدي ذات مرة كنت جالسا عند شيخ الهداد و سمعت أنها من قلبه يذكر الله

قال مرشدي قال خواجه يقول لقد تلقى شيخ الهداد علم التصوف من خلال مختصر الرسالة القشيرية و لكن لم تكن له معرفة تامة من هذا العلم في الواقع

و قال مرشدي ذات مرة توفي شيخ الهداد سنة ١٠٥١هـ و انه طلبني قبل وفاته لحضوري و قابلني بطلبه من المشفقة و قال اني اعطيك كل ما وصل إلي من خواجه الأكبر و انقل إليك كل ما عندي من طريقة عبد القادر الجيلاني و المشايخ النقشبندية و سلسلة الطائفة (خواجه خرد) [illegible] و قال مرشدي بعد ذلك اني لا افرق بين فيوض شيخ محمد مرشدي و شيخ الهداد و قد تشرفت بالتقائهم [illegible] و [illegible]

و قال كان خواجه حسام الدين أيضا يكتب على العهد لله ثم الحمد لله [illegible] مثل هؤلاء الأشخاص و إن رسالة الاجازة التي [illegible] شيخ الهداد [illegible] لي و هي كما يلي

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة على خير خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعين و أما بعد !

فليعرف أصحاب الطريقة جميعا أن كل ما وصل إلي هذا الفقير الهداد من قبل خواجه باقي بالله بعطية خواجه عبد الله (خواجه خرد) ، أجعله خليفة لي و أذن له أن يجيز كل من يأتي إليه للمبايعة أو يلقي الطريقة بعد تحمل طلبه و [illegible] السلسلة و أوصيه أن يعامل أتباعي و المريدين بعد وفاتي معاملة الوقار و المحبة و أدعو الله عز و جل أن يجعله ثابتا على الأحكام الشرعية و آداب الطريقة و أسرار الحقيقة (كتب بتاريخ ١٢/شعبان سنة ١٠٥١هـ)

ذكر الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي كان خواجه يقول ان خواجه كانا الجاري في الدرجة و المشهور لا يعرف الركود و هو يمتاز بهذا الوصف

الكمال خواجه حسام الدين أحمد مرة الى حج بيت الله الحرام و [illegible]

تقصده أمام الشيخ اله داد فرأى الشيخ في المنام مثله الآن

و جعلت من بين تلاميذهم عبداً و من خلفهم عبداً و ذكر هذه الرؤيا عند خواجه حسام الدين أيضاً و ذهب خواجه أبرار بعد ذلك إلى أجمر و مكث هناك [illegible] و نصفه حاول أن ينجح في رحلة السير لكنه لم يظفر

و اصطحب لنا (السيد كمال السيفي) مع مرشدي عند ذهابه إلى شيخ الهداد و تشرفت بزيارته و كان يشتغل على كبيرا و توفي شيخ الهداد بتاريخ ٢٢ /من شهر شعبان سنة ١٠٠١ هـ و بني قبره على مكانه ضريح خواجه الأكبر و قد أخرج مرشدي الشيخ خواجه مرد مادة تاريخ وفاة حضرة الشيخ الثاني و أني قد أخرجت نفس المادة في العمل فكأنها من باب التوارد

و قد كتبت روحه شيخ الهداد [illegible] من الاشتغال الذهني و كانت ترجع الشيخ و هو [illegible] على ذلك و توفيت سنة ١٠٦٢ هـ و كنت مقيماً في [illegible] عند ذلك عند مرشدي

و ذكر خواجه محمد هاشم الكشمي في زبدة المقامات عن شيخ الهداد كالآتي

كان شيخ الهداد من أولئك الرجال الذين حصلوا على إجازة خواجه خاصة و عندما كان خواجه مقيماً في لاهور و لم يسافر إلى ماوراء النهر وصل إليه شيخ الهداد عند ذلك و استفاد منه سلفاً و صاحبه و تلقى منه الطريقة و المراقبة و لكنه لم يرزق بصحبته في رحلة ماوراء النهر [illegible] و قد أشار خواجه على كل من كان يرجونا من المخلصين في لاهور عند ذلك بأن يلازموا صحبة خواجه و بعد ذلك سافر خواجه و سمعت ذلك شفاها من الكتاب الذي وجهه خواجه إلى أحد مخلصيه

لقد اشتدت داعية السياحة إلى ماوراء النهر هذه الأيام و الزم صحبة شيخ الهداد في لاهور و ليفهم كل من يجتمع له صحبته و الله ليس في ذلك مصلحة من النصح

و التمس شيخ الهداد من خواجه أن يكتب له بعض الحقائق و الدقائق فأرسل خواجه إلى شيخ اله داد هذه الرسالة و هو في طريقه إلى ماوراء النهر

أيها الشيخ اله داد أنصر [illegible] بالحقائق و ليس من الصعب على من أن يتحدث عن التصوف و [illegible] خلال هذه الحالة المرتبكة و تكفي [illegible] فقط علامتها و هي أن لا يمكن [illegible] جوابها في الصحراء و استقم على هذه الصحبة و [illegible] و هي أغلى من الكبريت الأحمر

و لما رجع خواجه من ماوراء النهر بدأ شيخ اله داد [illegible] صحبة خواجه و فوض إليه شؤون المسافرين و الزوار و خدمة الضريح و من براعته أنه لم يتغافل عن الأذكار و الأحوال الباطنة رغم القيام بهذه المسؤولية المهمة و حصل على مكانة رفيعة ببركة التقليد مرشده و [illegible]

صاحب رشد الملاحات في الآخر

ان شيخ الهداد من كبار هذا الزمان و أرباب الفنا و الإنكسار و لا يصحبه أصحاب أحد أو البعض من معطيه و لا يعلم إلا بأمره و سلم في دائرة شروح مرشده و عند ما يأتي إلى خواجة حسام الدين أحمد رحل للمبايعة برسله إلى شيخ اله داد و كانت بين خواجه حسام الدين أحمد و شيخ اله داد علاقة المحبة و الصداقة قوية

موطن الشيخ إله داد:

ذكر صاحب تذكرة الكرام أن موطن الشيخ اله داد كان امروها و امرونا من مضافات سنبهل و (كانت أمروها و غيرها) على ذلك فقال انه نشأ أيضا هناك و استدل على ذلك بالعبارات الآتية من كتاب خاصيات

ان الشيخ اله داد الامروهي كان من كبار أصحاب خواجه

و من الممكن ان يكون مولده و مسكنه بلدة أمروها في اول الأمر ثم استوطن دلهي و ذكره الشيخ الحكيم السيد عبد الحي اللكنوي من سكان دلهي كما نرى مذكرته بهذه الكلمات

الشيخ العالم الصالح الهداد البصير السلسندي الدهلوي الخ و لكن لا يصح السند أن مذهبه كان أمروها و ما هي إلا رواية و ترفة الخواطر بالمراجعة الى تطل مهوار خواجه باقي بالله

و ورد ذكر خمسة علماء باسم اله داد في كتاب تذكرة علماء الهند لصاحبه الشيخ رحمن علي رحمه الله و هم كما يلي

١ ـ الشيخ اله داد جونفوري

٢ ـ عثمان اله داد لكنوي

٣ ـ الشيخ اله داد سلطان بوري

٤ ـ الشيخ اله داد السرحالي

٥ ـ الشيخ إله داد الأمروهي

و كتب من الشيخ اله داد الامروهي كان صالح الطبيعة حلو اللسان حسن الخلق و انه توفي سنة ١٠٩ هـ في نواحي جهالكوب و دفن في إحدى امروها نور الله مرقده (تذكرة علماء الهند)

و لعل شيخ اله داد الذي معروف في أمروها هو غير الشيخ اله داد امروهي الذي ورد ذكره في تذكرة علماء الهند و ظن صاحب تذكرة الكرام انه الشيخ اله داد خليفة حضرة خواجه باقي بالله بسبب التجانس و لذلك قال ان ضريحه يقع في امروها

حضرة مجدد الألف الثاني و الشيخ إله داد

قام مجدد الألف الثاني مرات برحلات الى دلهي في حياة مرشده خواجه باقي بالله و كتب بانجمه من حسب الواردات الروحية و أخبره خواجه الأكبر عن بشائر عظيمة و سأله عن أحوال كثيرة و فوض اليه جميع مصالح الإصلاح و التربية (١٢) و وصل الى مجدد الألف الثاني نعي خواجه و هو في لاهور فجاء الى دلهي فورا ووصل اليه عجيب و قام بخدمة نجلي خواجه كلان و خواجه خورد و عزم مجدد الألف الثاني على القيام بخدمة الناس كما حسب وصية مرشده فعقد ذلك الرونق و البهاء الذي كان في زمن خواجه و تحقق فوائد كثيرة و في هذا الزمن الرابع أثار بعض حساده قضية بين حسن المعاملة و الوسيلة و ذكر فيها أن المجدد يدعي أن خواجه استفاد منه فيما بعد و حدث شكوك و شبهات في قلوب المتوسلين لخواجه من قبل المجدد رحمه الله و حصر المجدد على هذه المزاعم فحاول أن يقضي عليها بالمواعظ لئلا يتكدر الإخلاص و الوحدة و استخدم التوجه الباطني أيضا في هذا الصدد و لكن امتنع بعض متوسلي خواجه عن الاستفادة رغم ذلك و دارت ضجة عجيبة و اعتذر بعض الإخوان بعد مدة و طلبوا منه العفو فعفا المجدد رحمه الله عنهم جميعا و بلغت المودة فيما بينهم (١٣)

و كان لخواجه ثلاثة خلفاء آخرين سوى مجدد الألف الثاني كما سبق ذكره و جاب منهم الشيخ تاج الدين السنبلي عددا من المدن و القرى في الهند ثم وصل الى البلاد الإسلامية و انتهى أخيرا الى الحجاز و توفي في مكة المكرمة و نشر هناك الطريقة العلوية بين الشيخ تاج الدين السنبلي و المجدد طيبة الى النهاية و كما يفهم ذلك من دراسة رسائل المجدد رحمه الله و لعله لم يتورط في تلك القضية التي واجهها المجدد في دلهي و تحسنت العلاقة بين المجدد و خواجه حسام الدين أحمد و انه أعطى أيضا أحيانا في مرتبة العبد

أما الشيخ اله داد فكان خليفة لخواجه في دلهي و كان مسؤولا ساميا عن إصلاح الأحوال الخلقية و الذهنية لأبناء المرشد و الإخوان في دلهي بسبب اقامته في زاوية خواجه و يظهر أنه لم يكن فيه ما يلفت أسماع الناس و العاطفة على الطريقة قوية مثلما كان المجدد (رح) يمتلئ بها و كان معظم في زاوية خواجه اصطلاحات كانت هادرا و خطيرة من حيث الضبط عند رجل كامل من الطريقة النقشبندية و ان لم يخالف النبي و الطبيعة الذهنية في بادئ الأمر و كان المجدد رحمه الله يشعر بخطورتها كثيرا في رسائله التي بعث بها الى الشيخ إله داد الذي عرف بصلاحه و تقواه ليكون الشيخ ثابتا على سنن الطريقة و لا يطرأ أي تغيير على الطريقة النقشبندية بسبب تغافل

و ليس معنى ذلك أن المجدد رحمه الله لم يكن يكرمه بل كان يكرم جميع الإخوان و يذكر خلفاء خواجه المعروفين بحبها من اللطف و العطف

فإنه يقول في كتاب مبدأ و معاد

كنا أربعة رجال في خدمة خواجه محمد مختار بين سائر الناس و كان مثال من أحوال الشيخ اله داد حلمياً في رسائله التي يوجهها إلى الشيخ حسام الدين فلنذكرها في رسالة رقمها ٢٠٧ المجلد الأول

حسب مدة طويلة لم نعط لمجالس و أحوال أيضا المعدودة مثل جمال الدين و لا لغبار حسام الحضرة و لا سيما الشيخ إله داد و جهان شيخ الصحبة و ليس ذلك إلا لكم أصحبتموها

و لكن إذا سلكه حتى يكتب الإصحاب من الدين فإن نعمه الفاروقي حسانها رغم هذه المودة و العلاقة الوثيقة و من القضايا التي كان الجد رحمه الله يختلف فيها عن موقف أرباب زاوية خواجه و لا سيما الشيخ اله داد قضية الميلاد و من الظاهر أنه لم تكن احتفالات الميلاد مطلقة من القيود الشرعية و شروطها بل من المؤكد أنه سرى فيها أو تخلو من الأشعار الرديئة و الروايات الكاذبة و من الأغلب أن القائمين بها كانوا أيضا متمسكين بالشريعة الإسلامية ذاكرين لله و الحاضرون أيضا يكونون متحلين بأعلى مراتب من التقوى و ذلك بعيد عن التاريخ

و لو أمعنا النظر في الرسائل وصلنا إلى نتيجة أن القضية لم تكن بمثابة الشرط أو الركن آنذاك مثل هذه الأيام و لكن لم يستحسنها مترك الجد الرفيعة و لم يكن يرى هذا الإحتفال مخالفة للشريعة فحسب بل كان يراها مخالفا للطريقة أيضا و سلطت الأضواء في رسالة رقمها ٢٧٣ حول القضية الميلاد و كتب فيها أن هذا الفقير يسمع منه مثل هذه القضية لأنها تخالف الطريقة النقشبندية و أن مخالفة الطريقة تضر كل من يسلك هذه الطريقة جدا كأمثال المخالفة في صورة السماع أو الرقص أو حفلة الميلاد أو الإنشاد و يكتب في موضع من هذه الرسالة أن شرور أشار (موضع في دلهي تقع فيه زاويه خواجه) سيرى أمثالها من الفقراء و أن كل عمل يتحلل بهذه المنطقة يكون كنموذج لسائر المسترشدين و حتى مضطرب عندما نسمع أن محمد حسن قال يخالف الدين و الشريعة و الطريقة النقشبندية أيضاً

و أن أبناء المخدوم مسؤولون على المحافظة على منهج أبيهم و طريقته و لابد لهم أن يراعوا هذا الأمر و يكتب في نهاية هذه الرسالة بأسلوب شديد و هب لو كان خواجة حياً الآن و انعقد هذا الإحتفال أمامه سيرضى هذه الصورة هل يرضى به ؟ و إني أتأكد أنه لا يرى جائزاً بل يرفضه و كان من مسؤوليتي أن أنبهكم إلى خطورة هذه القضية و لكم الخيار إما تقبلوها أو ترفضوها و ما مجال للمناظرة هناك و لو يلقى أبناء المخدوم و مسترشدوه على هذه الطريقة مضطر إلى الحرمان من النتائج كالرضي

و طرح عليه خواجه حسام الدين أحمد بعض الأسئلة عن قضية الميلاد

فرد عليه الامام

أن يتبع نور الأصفيا عن طريقهم ما لم ينقطعوا بأيدي البلاد تماماً ولو أحضرنا اللص في هذا الوقت ليمضي هذه الدفعة الى الكثرة (مكتوب ٣٢ المجلد الثالث)

و أراد الشيخ آله داد أن يمضي فترة بعد هذه التذكاري للمجدد رحمه الله و جعل حراجه حسام الدين أحمد و سيطاً فقد جاء في الرسالة الرقم ٣٢ المجلد الأول أنه كتب عن الشيخ آله داد طاعة و لا يرى هذا الفقير في ذلك أي حرج و لكن لا بد أن يندم الشيخ على مجيء طريقته و الندامة في الحقيقة عبارة عن طلب العفو و الموعظة التي طلبوا الفرح من هذه الندامة و أما معاملته معي فهو معذور منه و ينبغي له أن يحضر مرشد بعناية منه و ليحمد علاقة الدنيا و الدولة جميعها بحيث يستطيع مثل هذه الأمور و اكتفى بذلك — و السلام

مكتوب في نفس الرسالة العبارات الآتية

الذي في روحي بعد هذه السطور أن أبين هذا الأمر في سطور واضحة لأنه يبقى الاشتباه في صورة الاجمال و لا يتضح المقصود و العذر عند ما يكون الوضع الراهن و لا يتضح و الا فلا مجال للعذر

و أنه كتب أن المرشد فوض الى الشيخ آله داد شؤون الطالبين منذ ساعة و هذا يتطلب إلى شرح تعالوا لوحده أن كان الطريقة يهدف إلى هدم الفقرا و الزوار و معيشة حاجاتهم فهذا صحيح و لكن اذا كان ذلك لأجل تربيتهم و سلوكهم على مرتبة الحقيقة فهذا غير صائب عند ما طلب بمشاورة المرشد مرة نهائية قال لي ماذا ترى لو أرشد الشيخ آله داد بعض الطالبين من قبلي و يتجسس عن أحوالهم لأني لا أستطيع أن أطلب جميع الطالبين عندي و أرشدهم و أتعرف على أخبارهم و أحوالهم فتوقفت أولاً في هذا الأمر و لكن بدت هذا الاقتراح فيما بعد لأنه كان حاجياً تماماً و من الواضح أنه يتطلب المشاورة و لا سيما اذا كان يبنى على الحاجة و الحاجة تتوقف على قدرها و كتب تلك المشاورة مضمناً بعهدة الشيخ و الشيوخ ذلك بعد وفاته

و قد بذل مجدد الألف الثاني أقصى جهوده في سبيل الدين و الحفاظ على الطريقة النقشبندية و أثمرت هذه الجهود ثماراً طيبة و أن الطريقة النقشبندية يهتم بالمحافظة على السنة خاصة و لا أدري لماذا لا ينظر أولئك الذين ينسبون الى مجدد الألف الثاني في رسائله و مهما يرتكب عامة الناس المحدثات من الأمور و لكن العجب أن يرتكبها أولئك الذين يوجد عندهم إرشادات المجدد في صورة الرسائل و الذين ينتمون الى طريقته و أن يشتغلوا بالأمور التي ترفع عن شأن المحدثات و لا يقوموا بواجبات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و اقامة أحكام الدين و التعاليم

[illegible]

للنبي صلى الله عليه وسلم

و الله نسأل أن يرزق المسلمين ليعيشوا وفق معالم الكتاب و السنة [illegible]

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد سيد المرسلين و على آله و أصحابه و أتباعه الى يوم الدين.

معربه [illegible]

الهوامش

١ - [illegible]

٢ - الشيخ [illegible]

٣ - يوجد هذا [illegible]

٤ - [illegible]

[illegible]

و [illegible] من [illegible] و [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

٦ [illegible] بعد أنه لم [illegible] في [illegible] كما [illegible] على [illegible] رسالة تاج العارفين [illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] و من [illegible] أنه [illegible] [illegible] في
[illegible] (الفرنسي) [illegible]

٧ و [illegible] أن [illegible] [illegible] من [illegible] و [illegible] أنه [illegible] [illegible] و [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]

٨ كان السيد [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] و كان [illegible] الشيخ
تاج [illegible] و [illegible] و [illegible] [illegible] و [illegible] [illegible] كان [illegible]
[illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible] و [illegible] الله [illegible]
تاج العارفين [illegible] و [illegible] و [illegible] الى و [illegible] في [illegible]
[illegible] و [illegible] و [illegible] من [illegible] [illegible]

٩ [illegible] السيد كمال [illegible] و [illegible] و [illegible] [illegible]
[illegible] السيد [illegible] في [illegible] [illegible] لان السيد كمال [illegible] و [illegible]

١٠ و [illegible] [illegible] سنة [illegible] [illegible] هذه [illegible] و [illegible] الى
[illegible] الخواجه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] من هذا الكتاب و [illegible]
[illegible] أن [illegible] على [illegible] أن [illegible]
[illegible] [illegible] الخواجه [illegible] من [illegible] من [illegible]
[illegible] يمكن أن [illegible] سنة [illegible]

١١ و [illegible] [illegible] من [illegible] الشيخ [illegible] أن [illegible] الخواجه
[illegible] و من [illegible] و الله أعلم بالصواب

١٢ و من [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] و [illegible] أن
[illegible] الشيخ [illegible] في [illegible]

١٣ [illegible] و [illegible] على أن [illegible] من [illegible] في [illegible]
[illegible] و [illegible] أن [illegible] و [illegible] و [illegible] في [illegible]
[illegible]

مجهودات الشاه ولي الله الدهلوي
في التقريب بين المذاهب الإسلامية

بقلم: البروفسور ستار أحمد الفاروقي
قسم اللغة العربية و آدابها
بجامعة دلهي

كان الشاه ولي الله الدهلوي (١) (١١١٤ - ١١٧٦هـ) من الشخصيات الرائعة المتألقة في الهند في القرن الثاني عشر الهجري و القرن الثامن عشر الميلادي. فلقد كان مفسراً و محدثا و فقيهاً و متكلما و صوفيا و فيلسوفاً و مجتهدا و شاعرا في اللغة الفارسية و العربية. و لم يكن أحد من العلماء الهنود أدرك مثله بنظر عميق على النظام الإجتماعي لعصره و الأوضاع الاقتصادية و السياسية و على أحداث التاريخ و سجلها مطلعا يتعرف عليها خلال دراسة فكر الشاه ولي الله الدهلوي. فقد كان رجلا عبقرياً و عرف بتجربته الطائلة أن حكم المسلمين على الهند الذي يمتد على سبعة قرون سيكاد أن ينتهي. و لو لم يستيقظ المسلمون من سباتهم في هذه الفترة الحاسمة من التاريخ و لم يتماسكوا ضد ظروف مضطربة التي حوله لا يحمونها أبداً. و درس الشاه ولي الله الدهلوي الأوضاع المتغيرة بنظرة عميقة. و طرح برنامجه الإصلاحي على مستويات مختلفة و رأى أن العالم الإسلامية في الهند لن تبقى في صورتها الصحيحة الحقة مادام لا يستحكم نظام التعليم الديني في الهند. و تحقيقاً لهذا الهدف السامي قام بالتدريس لمدة اثني عشر عاماً. و خرج جماعة من تلاميذه النجباء الذين واصلوا بعد وفاته تدريس علوم التفسير و الحديث و الفقه و المنطق و الكلام. كما أدرك الشاه ولي الله الدهلوي أن اللغة الفارسية لغة الكتابة و التأليف و اللغة الرسمية في البلاد. و لا يتعلم اللغة العربية إلا طبقة خاصة و أن عامة الناس مالا على هذه الطبقة لم يعرفوا معاني القرآن الكريم و الحديث الشريف و مقاصدهما

و إن هذه الطبقة لسبب بعدهم عن مصادرها و مراجعها الأصلية و أن
الخلافات العقائدية قد فرقت شمل الأمة و مزقت جمعها و بدل أن توجه
الجهود إلى التقريب بين الفرق المختلفة و إيجاد الانسجام فيما بينها استفحلت
الفرقة الناشئة التي فرقت صفوفها جميعا فكان من اللازم الرجوع إلى العقيدة
الصافية أن تعمم معرفة القرآن الكريم فألف الشاه ولي الله الدهلوي عدة
رسائل في أصول تفسير القرآن الكريم و لم يعارضه بعض العلماء لأنه
قام بنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية (٢) ثم لم يلبث أن تحول
عصر حل اللغة الفارسية في الهند و أصبحت اللغة الأردية مكانها و أدرك
ابنه الشاه عبد القادر (١١٦٢ - ١٢٣٠هـ) هذا الانقلاب الحاصل و قام في عام
١٢٠٥هـ بنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية بأسلوب سلس سهل
سهل الفهم و طبع ذلك لأول مرة عام ١٢٤٥هـ باسم موضح قرآن (٣)

و يأتي الحديث الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم لشرح
تعاليم الإسلام و بيان أحكامه و مطالبه السمحة و كان من رأي الشاه ولي الله
الدهلوي أن كتاب الموطأ للإمام مالك رحمه الله من أقدم مجموعات الحديث
الشريف و أكثرها اعتبارا و أن الصحيحين من إحدى ثمرات هذه المجموعة
لأن كتاب الموطأ يضم بين دفتيه أحاديث تعين على استنباط الأحكام
الشرعية و لذا عمل شرحين لهذا الكتاب الجليل المصفى شرح الموطأ باللغة
الفارسية و المسوى باللغة العربية حتى يستفيد منهما العلماء و عامة
الناس جميعا للاستفادة منه على قدم سواء

ثم يأتي مرحلة المسائل و الأحكام الفقهية و هذا هو المنطلق من حيث
نشبت خلافات بين مختلف طوائف الأمة و قد حاولت كل فرقة أن تقدم
تفسير القرآن الكريم و شرح الحديث الشريف بما يتفق مذهبها و عقيدتها
فجمع الشاه ولي الله الدهلوي الأمة بأخذ الاعتدال في المسائل المختلف فيها
و صنف فيه كتابا قيما *الإنصاف في سبب الاختلاف* أن الخلافات حول
مسألة التقليد و عدمه و قراءة الفاتحة فيها كانت محتدمة في عصره لدرجة
أن العلماء كانوا يتجادلون في خلافات مثل رفع اليدين و قراءة الفاتحة خلف
الإمام و جهر القراءة و غير ذلك و كان يكفر بعضهم البعض لحملهم المسائل
و في مثل هذا الجو المكهرب بالخلافات بدأ الشاه ولي الله الدهلوي بتقديم
الدين بأسلوب علمي حكيم يقول

> *و من أكبر نعم الله سبحانه و تعالى على هذا العبد الضعيف*
> *أنه خلع علي الفاتحة و ... إلى أن أجمع العصر الأخير*
> *عقد ... بين ما هو أحسن الفقه ... المجتهد و ... السنة*
> *المعروفة من حديثه* (١)

أن يظهر السيد ولي الله الدهلوي ... المذاهب المختلفة في الأمة

كانت مقدمة على الظاهر و النصاص و احترام جميع المذاهب الفقهية و الظاهرية و لكنه كان يريد أن يرى الإصلاح في صورة السنة البيضاء و مشروعية الجهاد في سبيله . و قد كان الهم هذا الأسلوب الجديد لتقديم الاسلام في المنام رآه في مكة المكرمة في العاشر من شهر صفر لعام ١١٤٤هـ و ذكر هذه الرؤيه في أمكنة متعددة في مؤلفاته يقول

> كان الحسن و الحسين رضي الله عنهما نزلا في بيتي و بيد الحسن رضي الله تعالى عنه قلم قد انكسر لسانه و بسط إلى يده ليعطيني و قال هذا قلم جدي رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثم قال حتى يصلحه الحسين فليس كما أصلحه الحسين كما لم يصلحه فأخذه الحسين رضي الله عنه و أصلحه ثم ناولنيه فسررت به ثم جيء بردا مخطط فيه خط أخضر و خط أبيض فوضع بين يديهما فرفعه الحسين رضي الله عنه و قال هذا ردا جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألبسني فوضعته على رأسي تعظيما و حمدت الله تعالى (٥)

إن هذه الرؤية تشير إلى أنه يسلك طريقا جديدا لتسليح الذهن عند المسلمين الجمود و يفتح روحاً جديداً في الفكر الديني و يقاوم منهج التدين المزيف و يجاهد بقلمه في سبيل إصلاح تفكير الامة المسلمة

و الأكثر فكر الشاه ولي الله الدهلوي يصعب علينا لولا أن نعلم أنه كان يحرر الذهن عامة الناس و ان الدين يبيع الصلاة عامة واضحة و أن هذه العبادة لا تحدها الحدود بل إنها عامة شاملة تحمل الحياة بالذات و أنه لا يمكن إصلاح المجتمع الإسلامي إلا حين يسلم الفكر الديني لدى المسلمين و قد شرح أسرار الشريعة في كتابه الشهير حجة الله البالغة يحيى أن الاسلام يصدر منهج حياة متكامل و استمر في كل حياتنا و جانب من جوانب مجتمع المسلمين و قد سجل محمود أحمد البركاتي حين قال:

> كان فكره موضوعيا و كانت مساعيه في تبليغ الدين تقوم على العقل و الأمانة و لم يكن يفكر في مسألة سرا كانت فقهية أو كلامية أو كانت تتعلق بالتفسير أو التصوف و كان له رأي في ذلك من قبل بل أنه كان يدرج مؤلفاته حصيلة فكره بنفسها و لحصها (٦)

و متقيدا بهذا الفكر مضى الشاه ولي الله الدهلوي يبحث عن أسباب الخلافات القائمة بين مختلف طوائف المسلمين و بالرغم من أن فترته كانت تمثل مدرسة فكر في الفقه و الكلام و التصوف لكن العصبية و التحجر لم يؤثرا في سلوكه المتكامل و وجه جهوده إلى البحث عن ترجيح

الإشتراك بين مختلف المذاهب الفقهية و الكلامية ، و حاول التقليل من
غلو الخلافات بينها ، بدلاً من أن يحاول مناصروا مختلف مذهب مذهبه
أن هذا المنهج الفكري لدى عالم يعتبر كان غريباً في المجتمع الاسلامي الهندي
حيث كانت جذور الخلافات المذهبية قد تأصلت منذ أكثر من خمسة قرون
و كان أتباع مذهب واحد لم يكونوا يعرفون كتب المذاهب الأخرى
و لو درسوها كانت تعليمهم الرد عليها و النيل من مبانيها أن جهود
الشاه ولي الله الدهلوي في سبيل التقريب بين مختلف المذاهب الإسلامية
لم تخل من موانع مختلفة ، ففي جانب واحد كان المقلدون (الأحناف)
يعتبرونه غريمهم و لكنهم يكرهون بعض أفكاره لم يعترفوا فيها و على
الجانب الآخر يعتبره أهل الحديث امامهم (٨) و مقدمهم و لكنهم أيضاً
لا يوافقون على جميع أفكاره (٧) يقول جورجي جملة انه قد سبق أقوال
عليه من مناهج المتقدمين و مناصريها حتى يصبح الدين يعرضون مكانته
العلمية هذه الأفكار باعتبارهم اياها أفكار الشاه ولي الله الدهلوي (٩)

و في القرن الثامن عشر الميلادي كانت جماعة الصوفية مجتمع مفكر
و معقود بالفكر في المجتمع الهندي ، و مع انه كان منهم من يأخذوا أموالهم
بدسائسهم و كانوا غافلين عن علم الدين و جعلوا طقوساً مختلفة بمسافة الدين
و لكن الى جانبهم كان هناك بعض كبار الصوفية و كانت توجد في طرقهم
مظاهر مرتبطة للسلوك و السير أو كانوا قدوة حدث روحاني ، و عند
الطبقة أيضاً كانت مختلفة فيما بينها في بعض المسائل مثلاً هل ترجع
الصحة للعلاقة فحسب أم يجوز لأغراض أخرى أيضاً أو ما هي العلاقة بين
الشريعة و الطريقة الروحية أو يجوز الذكر جهراً أم لا ؟ و كذلك كانوا
مختلفين في بعض المسائل الفرعية كسماع الموسيقى و حضور الشيخ
و المرسل و ما اليها ، و لكن أهم هذه الخلافات كانت حول مسألة الوجود
فقد كانت طبقة معتقدة بوحدة الوجود ، و تقول أن لا وجود إلا الله و لا موجود
في الوجود الا الله ذات الله سبحانه و تعالى واجب الوجود الذي خلق الخلق
في مرتبة الوهم و ذلك يعني أن الوجود خداع البصر لا أصل له كالملح الذي
يذوب و يعود ماء ـ و كان الشيخ محي الدين ابن العربي (٦١٠ ـ ٦٣٨) من
أكبر مناصري هذه الفكرة و في الهند ألف الشيخ محب الله الإله آبادي
(٩٩٦ ـ ١٠٥٨هـ) كتباً شتى حول هذه المسألة الدقيقة (١٠)

أما الطبقة الثانية فكانت معتقدة بوحدة الشهود و كان الشيخ
أحمد السرهندي (١١) مجدد الألف الثاني (٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ) امام هذه النظرية
فيما يتعلق مع انه عثر على دلائل الإختلاف عن نظرية وحدة الوجود في
ملفوظات علاء الدولة السمناني (١٢) (٦٥٩ ـ ٧٣٦هـ) و السيد أشرف جهانگير
السمناني (١٣) (٦٨٨ ـ ٨٠٨هـ) و السيد محمد الحسيني الملقب بكيسو دراز (١٤)
(٧٢١ ـ ٨٢٥هـ) أيضاً على كل أن الخلاف الصوفية في هذه المسألة قد سادت بين

السلاسل الصوفية . و بذل الشاه ولي الله الدهلوي جهودا مخلصة لتقليل الفجوة بينهما . و إن رسالته الطويلة إلى المفتي إسمعيل بن عبد الله الرومي ثم المدني و التي طبعت باسم *الرسالة المدنية* تلقي الضوء على هذا الموضوع فقد استعرض فيها نظريتي الوحدة استعراضا مفصلا و يدل بحثها مشكوراً تجاه التطبيق بينهما تطبيقاً معقولاً . قال الشاه ولي الله الدهلوي :

إن وحدة الشهود تعني أن يصل السالك مقاماً تنطبق فيه طرق أحكام الجمع و الفرق . و ذلك يعني أن السالك قد اهتدى إلى أن يدرك الحقيقة أن الوحدة التي يعرفها لما هي الأشياء إنما هي من وجه واحد و أن الكثرة التي يرى مغايرة لها إنما هي الأخرى أيضاً من وجه واحد . إن مرتبة المعرفة و السلوك هذه أرفع بكثير من مقام وحدة الوجود . إن محاولة التطبيق هذه لم تعجب القائلين بوحدة الوجود أو بوحدة الشهود . فقد طلب الميرزا مظهر جان جانان (٦٥) (١١١١- ١١٩٥هـ) إلى خليفته الشيخ غلام يحيى البهاري (٦٦) بالرد على ذلك . فكتب رسالة *كلمات الحق* (١١٨٦هـ) و دبج الميرزا جان جانان تقريظا على هذه الرسالة . ثم كتب الشيخ ثناء الدين الاورنك ابادي بطلبه رسالة أخرى باسم *مظهر النور* . و شرحه ابنه السيد نور الهدى باسم *الظاهر* .

و توفي الشاه ولي الله الدهلوي في عام ١١٧٦هـ قبل أن تظهر رسالة *كلمات الحق* فيرد عليها أيضا . و كتب ابنه الشاه رفيع الدين المحدث الدهلوي (٦٧) رسالة *دمغ الباطل* و قد كتب بها الشاه ولي الله الدهلوي صائبة في محاولة التطبيق هذه . و لم يكن يريد أن يغلق باب بحث جديد فكان يرى أن جميع السلاسل الصوفية تنتهي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن واسطة الحسن البصري (ت ١١٠هـ) و لكن لا يثبت اللقاء بينهما الذي مشروط للإستفادة . و أما الأحاديث التي رواها الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما و التي وردت في كتب الأحاديث مثل صحيح الإمام البخاري و جامع الترمذي و سنن أبي داود ليست متصلة و إنما توجد فيها واسطة قيس بن عباد . و رد عليه أحد كبار الصوفية من السلسلة الجشتية النظامية الشاه فخر الدين النظامي محب النبي الدهلوي (٦٨) (١١٢٦- ١١٩٩هـ) في كتابه *فخر الحسن* و أثبت أن الحسن البصري كان اكتسب الفيض الروحي من علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

إن الشيعة الإمامية يشكلون جزءاً كبيراً للأمة الإسلامية و اختلف فيهم علماء أهل السنة في كل عصر . فهناك طبقة الفقهاء التي يكفرون الشيعة الإمامية بغير كلفة . و لكن الطبقة الأخرى اختارت طريقاً وسطاً و لم تذهب مذهب تكفيرهم . و هم يستندون إلى أن من يقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله " و يؤمن بالنبي و الآخرة و يعتقد أن القرآن الكريم منزل من الله تعالى لا يمكن تكفيره . إن وجهة نظر الشاه ولي الله الدهلوي في هذه القضية أيضا

كتب واقعيه و معتدله. و قد كتب في ذلك بعد أنه قال: لو خيرت بين التقليد و عدمه في المسائل الفقهية لاخترت عدم التقليد و لكني أمرت أن أبقى مقلدا. و كذلك كنت أميل إلى تفضيل علي على الشيخين و لكني أمرت بتفضيل الشيخين. و لكن موقفه الوسط هذا لم يعجب أهل السنة فقد ورد في ملفوظات الشاه عبد العزيز الدهلوي (٦٦) أنه جاء إليه رجل من [illegible] و سأله عن الخلافة الإمامية فذكر له الشاه ولي الله الدهلوي أقوال المتقدمين من علماء الأمة ثم ذكر له رأيه فيهم و لكنه لم يطمئن إلى جوابه و ذهب ثم حضر الرجل في خدمته مرة أخرى و أعاد عليه سؤاله الأول فرد عليه الشاه ولي الله الدهلوي بمثل ما رد عليه في المرة الأولى فغضب الرجل و قام من المجلس و هو يقول إن هذا الرجل أيضا يعد من الشيعة. هذا كان حال أهل السنة أما الشيعة أيضا فلم يكونوا راضين عنه. و يرجع ذلك في المقام الأول إلى الصراع السياسي الذي شهده العصر الذي عاش فيه الشاه ولي الله الدهلوي حيث كان الناس انقسموا بين الطبقة الإيرانية و الطبقة التورانية و لم يكن أي شخصية من شخصيات الصالحة حيث لم تدخل إليها هذا الصراع و الخلاف. و السبب الثاني هو أن مؤلفاته لم تعم بين أهل السنة بالذات فكيف لها أن تلقى رواجا بين الشيعة. و من ناحية أخرى إن معظم مؤلفاته لم تكن كثيرون منهم على استعداد ليدركوا كنه فكره و ذلك لأنه يتكلم في مصطلحات خاصة و كتاباته تتسم بصبغة الكشف و الوجدان إلى جانب الفلسفة و الكلام.

و السبب الثالث هو أن بعض مؤلفات ابنه الشاه عبد العزيز الدهلوي (٢) (١١٥٩-١٢٣٩هـ) و حفيده الشاه محمد إسماعيل الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦هـ) قد أوقعت الشيعة في سوء التفاهم تجاه الشاه ولي الله الدهلوي و ظهر ذلك بسبب أنه لما تصدى الميرزا علي لطف في عام ١٨٠٦م لكتابة تراجم شعراء اللغة الأردية فنقل شخصا اسمه الشاه ولي الله إسحاق الدهلوي من أحفاد الشيخ أحمد السرهندي. الشاه ولي الله المحدث الدهلوي و يقول له كتب عديدة للهند الرواج و القبول منها كتابان أحدهما قرة العينين في إبطال شهادة الحسين و الثاني حجة الله البالغة في مناقب معاويه. مع أن الشخص الذي يتحدث عنه المؤلف يختلف عن شخصية الشاه ولي الله الدهلوي اختلافا تاما كما أنه لم يكن شاعرا باللغة الأردية و قد أخطأ الميرزا علي لطف حين جعل كتاب قرة العينين في تفضيل الشيخين محرفا قرة العينين في إبطال شهادة الحسين و لكنه لم يؤلف رسالة في مناقب معاوية قط و كذلك لا يوجد أي كتاب في هذا الموضوع للشاه ولي الله إسحاق الدهلوي.

إن الجمع بين الفرق المختلفة للمسلمين على الأمور المشتركة و الفروع بطريق وسط عن طريق التطبيق في المسائل المتنازعة ليس هدفا يسير المنال مع أننا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين أراد أن يدعو اليهود

و النصارى الى التفاهم كتب اليوم فهو مرة تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم و لكن القائلين عن حكمة الدين دوما يرددون أن لا يجتمع كلمة المسلمين حتى في المسائل التي يمكن الاتفاق فيها و لو أدى ذلك الى تشتيت شمل المسلمين و تمزيق جمعهم. قد كتب قبل مدة سعيد قرأت كتابا اسمه اصل الشيعة و اصولها للمؤلف العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء و أوضح فيه المؤلف عقائده بأسلوب رزين علمي مدعم بالدلائل و قد أعجبني معظم أجزاء الكتاب و وقر في نفسي أنه بغض النظر عن بعض المعتقدات الأساسية لا توجد فجوة سحيقة بين أهل السنة و الشيعة لا يمكن تخطيها أو لا يمكن مع بقائها أن يتحقق التفاهم و التصالح بين فريقي الرئيسيين لهذه الأمة الإسلامية و أردت أن أترجم الكتاب الى اللغة الأردية تعميما للفائدة و لكني علمت أنه قد ترجم و طبع في بلد لكناؤ و أخذت نسخة من الترجمة بعد جهداً حتى حصلت عليها و لكني لما قمت بالمقارنة بين أصله العربي و ترجمته الأردية وجدت فيه فارقاً كبيرا فمثلا كلما كتب المؤلف كلمة خير عن الصحابي أو أبدى تعظيما لهم حذف المترجم تلك العبارة بأسرها أو حرف عن موضعها ففي هذا الجو كيف يمكن أن تتكلل أي جهود للتقريب و إيجاد التفاهم بالنجاح

كان الشاه ولي الله الدهلوي حينما شاهد أسباب انحطاط المسلمين الهنود و كان يرى بأم عينيه أن دولة إسلامية عظيمة آخذة سبيلها الى الاضمحلال فلم يكن إلا أن يدعو الأمة الإسلامية إلى الوحدة و الوئام فقد خاطب كل طبقة من طبقات المجتمع و ذكرها بمسؤولياتها فقال مخاطبا للعلماء : يا من سموا أنفسهم العلماء [illegible] مع أنكم غارقون في علوم اليونانيين و مباحث التصريف و النحو و المعاني و تحسبونها علما ان العلم إنما هو آية محكمة أو سنة ثابتة قائمة - [illegible] سلكوا طريقاً وعرا في الدين و [illegible] و الزهد و الذين [illegible] و [illegible] الى الروايات كيف تتجرؤون حتى [illegible] الدين على [illegible] و [illegible] إنكم تزعمون [illegible] ما يجب و [illegible] على الناس [illegible] و [illegible] الشقاق على الناس مع أنكم [illegible] و لم [illegible]

إن دراسة دقيقة [illegible] لمؤلفات الشاه ولي الله الدهلوي توصلنا الى نتيجة [illegible] محمد الفريدي رحمه الله بقوله

> *لقد كان الشاه ولي الله الدهلوي مجدد عصره و حكيم الأمة و مصلحها و إماما كل علم و فن و محافظا [illegible] الإنسانية بأسرها و كل إسلامي [illegible] الوطن و قد تم [illegible] كل [illegible] و كل قوم من أقوام العالم*

الهوامش

(١) أبو الفياض قطب الدين أحمد المعروف بالشاه ولي الله بن الشاه عبد الرحيم الدهلوي ولد في الرابع من شوال ١١١٤هـ / ٢١ فبراير ١٧٠٣م في قرية پهلت (مديرية مظفرنگر ولاية اترابراديش) قرأ الكتب الدراسية على أبيه (المتوفى ١٢ صفر ١١٣١هـ / ٤ يناير ١٧١٩م) و صار متبحراً في العلوم الإسلامية و هو ابن ١٥ سنة. سافر إلى الحجاز في ١١٤٣هـ و تتلمذ على عدد كبير من مشايخ الحرمين الشريفين خصوصا عند الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني و الشيخ وفد الله بن سليمان المغربي و الشيخ تاج الدين القلعي و عاد إلى الهند في عام ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م.

توفي الشيخ رحمه الله في ٢٩ محرم الحرام ١١٧٦هـ / ٢٠ أغسطس ١٧٦٢م و دفن في مقابر مهنديان (وراء ما يسمى جيل خانه حاليا) من [illegible] الشاه محمد و الشاه عبد العزيز (ت ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م) و الشاه رفيع الدين (ت ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) و الشاه عبد القادر (ت ١٢٣٠هـ/١٨١٥م) و الشاه عبد الغني (ت ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م). يبلغ عدد مؤلفاته من ٥٠ كتابا في اللغة العربية و الفارسية و قد ترجم بعضها إلى اللغة الأردية. فيما يلي أشهرها:

(١) فتح الرحمن ترجمة معاني القرآن بالفارسية (٢) الفوز الكبير (٣) المسوى شرح كتاب الموطأ بالعربية (٤) مصفى شرح الموطأ بالفارسية (٥) تراجم البخاري (٦) الانتباه في سلاسل أولياء الله (٧) حجة الله البالغة (٨) التفهيمات الإلهية (٩) الإنصاف في بيان سبب الاختلاف (١٠) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد و التقليد (١١) [illegible] (١٢) القول الجميل (١٣) الرسالة [illegible] (١٤) القول الجلي في ذكر آثار الولي و غير ذلك

(٢) بدأ كتابة هذه الترجمة في ١١٥٠هـ/١٧٣٧م و أكمل مسودتها في ١١٥٦هـ [illegible] (انظر مقدمة فتح الرحمن)

(٣) الشاه عبد القادر بن الشاه ولي الله الدهلوي ولد في ١١٦٧هـ/١٧٥٣م و استكمل دراساته على الشاه محمد عاشق الپهلتي (ت ١١٨٧هـ) [illegible] ترجمة مشهورة في [illegible] (و قد [illegible] في ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). [illegible] معاني القرآن الكريم باللغة الأردية في ١٢٠٥هـ/١٧٩١م بأسلوب [illegible] ثم طبعت هذه الترجمة لأول مرة في ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م في مطبع السيد عبد الله بن بهادر علي في هوگلي (بنغال). توفي رحمه الله في رجب ١٢٣٠هـ/١٨١٥م و دفن بجوار أبيه. من أبرز تلامذته [illegible] و القاضي [illegible] و الشاه محمد إسماعيل الدهلوي و الشاه محمد إسحاق [illegible] و الشاه محمد يعقوب الدهلوي. [illegible] إسمها [illegible] و هي زوجة [illegible] مصطفى بن [illegible] الدين [illegible] إسمها [illegible] و هي زوجة الشاه محمد إسماعيل الدهلوي و أم الشاه محمد عمر (انظر

محمد احمد برکاتی الشاه ولی الله المحدث و اسرته (بالأردية) لاهور ١٩٧٦م

(١) حجة الله البالغة

( ) [illegible] [[illegible]]

(٢) مسعود احمد برکاتی الشاه ولی الله و اسرته (لاهور ١٩٧٦م)

(٣) على سبيل المثال [illegible] يقال في الإصطلاح [illegible] الشاه ولي الله راسخا و [illegible] (انظر للتفصيل ابو الحسن زيد الفاروقي مقدمة القول الجلي في ذكر آثار الولي (دهلي ١٩٨٩م)

(٤) السلفيون (أهل الحديث) يتبعون الإمام ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب النجدي مثلا و [illegible] و يدعون أن الشاه ولي الله أيضا يتبعهما في المعتقد و [illegible] في أكثر الأعمال مثلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٥) [illegible] الشاه ولي الله و [illegible] هذا الكتاب [illegible] محمد بن عبد الوهاب النجدي و [illegible] هذا الكتاب

[illegible] القول [illegible] للتفصيل [illegible] القول الجلي لأبي الحسن زيد الفاروقي)

(١٠) الشيخ [illegible] الله [illegible] من كبار مشايخ السلسلة [illegible] [illegible] الشيخ [illegible] له مؤلفات كثيرة [illegible] على [illegible] الشيخ محي الدين ابن عربي [انظر للتفصيل [illegible] [illegible] (١٩٨٢م)

(١١) الشيخ احمد السرهندي [illegible] الألف الثاني [illegible] [illegible] الطريقة [illegible] الشيخ [illegible] (م ١٠١٢ هـ) له مصنفات كثيرة و [illegible] [انظر للتفصيل [illegible] ([illegible] ١٢٠٣ هـ و [illegible] لاهور ١٩٨٢م)

(١٢) [illegible] الشيخ [illegible] بن [illegible] ولد في ذي الحجة [illegible] نوفمبر ١٣٦٦م في [illegible] (خراسان) [illegible] الطريقة [illegible] عن الشيخ نور الدين عبد الرحمن [illegible] في السلسلة [illegible]

رحمه الله في ٢١ من شهر رجب [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦٣) السيد الشريف [illegible] بن السيد محمد [illegible] ولد في [illegible]
[illegible]
[illegible]
في ٢٢ محرم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦٤) السيد محمد [illegible] بن السيد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦٥) ميرزا مظهر جان جانان ولد [illegible] ١١١١ - ١١٩٥هـ و هو من كبار مشايخ [illegible]
النقشبندية [illegible]
[illegible] الشيخ المعروف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦٦) الشيخ غلام يحيى [illegible]

(٦٧) الشاه رفيع الدين الدهلوي ولد في [illegible] الشاه عبد العزيز
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٦٨) [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] حيث ألف [illegible] و الكشوف له مصنفات منها [illegible]
[illegible] و الرسالة [illegible] و رسالة [illegible] توفي في ١١٩٩هـ/
١٧٨٤م و دفن في [illegible] بجوار ضريح [illegible]
(انظر [illegible] و [illegible] و [illegible])

(١٩) ملفوظات عزيزي (مطبع مجتبائي ميرته)

(٢٠) الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي ولد في ٢٥ من شهر رمضان ١١٥٩هـ / اكتوبر ١٧٤٦م
و استكمل دراسته على يد الشيخ محمد عاشق و الشيخ فضل الله الكشميري و الشيخ
نور الله البودهانوي [illegible]
[illegible] و السيد أحمد [illegible] و [illegible]
و [illegible] و الشاه محمد اسحق [illegible] توفي
رحمه الله في السابع من شوال ١٢٣٩هـ / ٦ يونيو ١٨٢٤م و دفن بجوار أبيه و جده في
[illegible] له مصنفات كثيرة منها التفسير فتح العزيز و [illegible]
[illegible] و [illegible]
(انظر [illegible] الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي [illegible] و [illegible]
٢٠٦ و [illegible] أحمد بركاتي الشاه ولي الله المحدث و أسرته [illegible])

البحث في المؤتمر الدولي لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية المنعقد في
طهران (١٥ - ١٧ شهر ربيع الأول ١٤٣[illegible] هـ)

الزخرفة و صناعة الأواني الخزفية
خلال العهدين القديم والأوسط للهند

بقلم: ضياء الدين الإصلاحي
دار المصنفين، أعظم جراه

مازالت الهند تعتبر مهدا للعلم و الفن و الحكمة و مركزاً للفنون المثلى و الصناعة و الحرف و تزدهر فيها زخرفة العمارات و تطوير الأقمشة و صناعة الأواني الخزفية منذ عهدها القديم و فيما يلي مقال يبحث بموجز في فنون النقش و الزخرفة و الصناعة و أحوالها خلال العهدين القديم و الأوسط من عهودها التي تتصل بالحضارة و الثقافة الهندية و التي بالتراث و الحقبة التاريخية

لقد تكشف بعد عمليات الحفر أن الناس في العهد الحجري القديم كانوا يستخدمون الآلات الحادة المنحوتة من الأحجار و كانوا يصطادون لطعامهم اللحمة غير المطبوخة أي هؤلاء الناس كانوا يرتاعون من الوحوش و لهذا كانوا يبحثون عن الأمكنة العالية و المناطق الآمنة البعيدة فكانوا يسكنون الجبال و التلال و يشربون من ما تقع حولها من القنوات و المستنقعات لأنهم كانوا غير متعرفين إلى الزراعة و صناعة الأواني الخزفية و استخدام النار و كانوا يرتحلون حسب أنحاء البلاد حتى سواحل السند و نهر جمنا لعلهم كانوا من أصل حبشي فتوجد أجيالهم حالياً في جزائر اندمان و ملايا و في بعض قبائل آسام

و يقال أن الناس قد اطلعوا على زراعة الأراضي و صناعة الأواني و استخدام النار في ما بعد العهد الحجري القديم و صنعوا الأسلحة من الحجر و الحديد فكانوا يحترفون الزراعة و يستأنسون الحيوانات و يلبسون ملابس القطن و الصوف لأنهم كانوا يخططون المغارات المزخرفة بالأزهار و المنقوشة بمناظر الصيد و الرقص

و يتضح لنا أن في العهد الذي استخدم فيه الإنسان المعادن أول

الأمر و لكن العثور على الآلات المعدنية مع الآلات الحجرية في العهد الحجري المتأخر الجديد يؤكد أن استخدام النحاس كان قد تروج شيئاً قليلاً في العهد نفسه فنجد في الشمال استخدام النحاس الأحمر و كانسي (نوع من معدن) قبل استخدام النحاس الأصفر ثم يأتي عهد الحديد و أما في الجنوب فنلاحظ آثار العهد الحديدي في ما بعد العهد الحجري مباشرة و لا نجد في هذه المنطقة أية علامة تدل على رواج استخدام النحاس الأحمر و كانسي و من الآلات النحاس الأحمر و الحديد في هذا العهد نجد فؤوساً و سيوفاً و نصال الرماح و غيرها

حضارة وادي السند

إن الأشياء المكتشفة حالياً من حفريات موهن جودارو و هرابا من المنازل الشامخة و الشوارع الواسعة و الأزقة الفسيحة تدل على أن الناس في عهد حضارة السند كانوا مطلعين على مبادئ البناء المدنية و المخططة الحضارية فإنهم كانوا يزرعون الحنطة و الشعير و يستخدمون الحيوانات و يصنعون الأدوات المنزلية من الطين و الخزف حيث كانوا يزخرفونها بأشكال الأشجار و الأوراق بالكثرة و الأواني المستعملة في هذه الحضارة كانت مصنوعة على آلة الفخار و بعضها كانت مصقولة جداً و منها الجرار الكبيرة و الطشت و الأكواب و الصحون و الأطباق المخرومة و الخرز المصنوعة من مختلف أصناف الأحجار و فيما يتعلق بالنحاس فإنهم كانوا عالمين باستخدام النحاس الأحمر منها حيث كانوا يصنعون به الأواني المنزلية و الأدوات الحربية و قلّما نجد في حضارتهم استخدام كانسي في صناعة الأسلحة

إن الأشياء المستعملة في حضارة وادي السند و المعثورة عليها حالياً تبين لنا عن رواسبهم الدينية و مراتبهم الحضارية في الفنون الجميلة و الحرف الثقافية تعثر العلماء على أشكال تماثيل تلك الحضارة مثلما نجد هذه الأيام و يلاح طريقة حسن تماثيل الرجال التي نذكرها بالمجسمين الملكي و الكاهن لموهن جودارو و على مثال راقصة تظهر في حالة الرقص بالإضافة إلى عدد كبير من تماثيل تختص بالآلهة الأم التي ظنها المؤرخون أن الناس كانوا يعبدونها في الحضارة المذكورة أعلاه.

إن الناس في حضارة وادي السند كانوا يلبسون الثياب بسيطة منتظمة و منهم من كان يلبس لباساً صغيراً عادياً يدعى باللغة الهندية ساري حيث يغطي أعلى جسمهن مكشوفاً حتى يزينه بالحلي المصنوعة من نور العقيق أو الذهب أو الخزف و كان يطلق عليه (على ساري) الحزام الدوري المرسيي.

و إن الأشياء منهم من الحكام و العباد كانوا يرتدون ملابس كثيراً على

حليهم الزاهية المتميزة بينما كان ملابسهم يتميز بإزار واحد يحيي بالثقافة الهندية تحويس و كل ذلك يدل على كون الحضارة حضارة متقدمة في مجالات الزخرفة و النقش و التجميل

إن سكان العهد القديم فراور كانوا يعلمون استخدام الطين مثل مراعاة و مهارة و أوانيهم الفخارية لما كانت تكثر خطا و رسما و نقشا كما نجد على أسوار معابدهم (المعابر) أبوابا رسمية مزخرفة وعرفت بصور الأصنام التي كانوا يعبدونها

و فيما بعد حضارة هرابا حيثما حفرت الآثار التاريخية قد وجدت الأشياء الفخارية أيضا هناك بالضرورة ففي عهد فيدا كانت قد ترقت حضارة الآريين إلى حد فائق لم تكن عليه من قبل فإنهم كانوا يعلمون صناعة الأواني الفخارية و الأثواب المتلونة و الزخارف المتنوعة و كان له دورا في مهنتهم في تطوير الشعب فكان الأمراء و الأغنياء منهم يستعملون الأقمشة المصبوغة و الحلل الذهبية مطرزة الأكمام و الكتفين

و أما ما بعد في عهد البوذيين من أهل الحرفة فمنهم الجوهريون و الصواغون و الحائكون و الفخارون و الصناعون و الطباخون و الحدادون و غيرهم من المحترفين و المهنيين

فالفخارون كانوا يصنعون الأدوات المنزلية من الأكواب و الصحون من كل الأنواع و يزينونها بالجمال و كان النقاشون على الأحجار يصنعون الأصنام و ينقشون سائل الهادرة على الأحجار كما كانوا يصنعون صناديق الصدرية و الأكواب البلورية و الأصناف الحجرية المختلفة و الأشياء الأخرى

إن النقاشين كانوا يلبسون البيوت و يزخرفونها بالصور الجميلة و يصنعون الأشياء المختلفة بالصورة الجيدة و يزخرفونها بأنواع من النقوش و الترصيعات و كانوا يستخدمون بأعلى مستوى الفن و التجميل و كان العاجيون يصنعون الأدوات المنزلية الصغيرة من العاج و يرسمونها بأجمل أشكال الزخرفة و النقش و كان الصباغون يصبغون و ينسجون الثياب المنسوجة كما كانت النساء يحترفن الزركشة و الخياطة و التطريز

و في أواخر عهد فيدا كانت تصنع الأكواب و الأواني من الذهب على الأكثر و كانت ترسم الأصنام و تنقش المعابد و الأبواب و الشبابيك بأجمل الرسوم و النقوش على أن العمل الزخرفي كان غالبا في قصور السلاطين الهندوكي و كان الأمراء و الأثرياء من الهندوكي يستعملون الجدران و البيوت و يرصعون الأبواب الخشبية بالطين و الألوان كما أن الكراسي و الشبابيك و مسامير الأبواب في هذا العهد كانت ترسم بصور الناس و البيوت و بمناظر مختلفة الأنواع حتى أن النقاشة و الزخرفة و الترصيع كانت جزءا خاصا للجدران بما أن هذا العهد و كانت تتجاوز الحدود في أكثر الأحيان و أن الجدران الخارجية أيضا كانت تنقش بأشكال الحيوانات و الورود

و الدوائر و الخطوط المتموجة و بالأشكال المحفورة البسيطة الأخرى و كانت تنقش و تشكل داخلياً و خارجياً و في معابد بأكملها حتى كانت سقوف و سطوح السقوف و الأعمدة و الجدران بتماثيل و تشكيلات المتعلقة بالديانة نفسها

و في عهد سلطنة موريا نرى الكثيرين من كبار الملوك و السلاطين مثل تشندراجوبتا و كأشوكا الذين رعوا فنون النقش و التجميل و التزيين و روجوها في أعمالهم حتى أنها تطرقت على الجهود السابقة و تعتبر إضافة نادرة إلى تاريخ الثقافة و التزيين

و مع أن عمارات هؤلاء الملوك كانت مصنوعة من الخشب و معظمها لم تتوقف إلى زمن طويل و لكننا نجد في عهدهم نماذج جيدة من فن النحت و البناء فأعمدة أشوكا من حجر واحد مختبر تذكاراً بمثابة علماً لعهده جودتها و تدل على كون العهد متقدماً و راقياً في ميدان النحت و نقش الأحجار

كما أن أعمدة أشوكا كانت حجر واحد نموذج للنحت الجيد و الأساليب المتقنة فالعمود الحجري القائم في سارنات و كذلك فيروز شاه بدلهي يخدع الناس بكونه معدناً و الحجارة المنقوشة عليه تجذب أنظار الناظرين و تستحق الثناء و التقدير

إن الأعمدة و القباب المبنية في عهد أشوكا تعتبر هامة جداً من ناحية الفن و التصوير فمعظم من الأعمدة أعدت تماماً بصخرة واحدة من الحجر حتى أن ملصقات أو أشكالاً منحوتة مصنوعة على رؤوس بعض منها صخرة واحدة كبيرة الحجم

إن هذه الأعمدة تحمل على رؤوسها تمثالاً أو عدة تماثيل من الحيوانات منحوتة في أعلى مصنوعة من الحجر نجد على عمود سارناث أربعة تماثيل للأسد منحوتة الظهور و الأطراف الوجه بالخطوط الجميلة و الألوان كما نجد عليه أشكال الحيوانات و الأزهار ذات أهمية ثقافية خاصة بالهند

و في عهد سلاطين موريا كانت الزخرفة و الترصيع من الفنون اللطيفة و الشائعة جداً على أن النحت و النقش كانا قد وصلا إلى ذروة الكمال في عهد جوبتا فالأعمدة المنحوتة في العصر كانت مرصعة بأشكال عصافير اللقلق و الخطوط الرائعة الأخرى و زخرفة جدران المعابد في عهد تقدم نماذج جميلة لفنون النقش و التزيين و مواجهة الأشكال و الصور و التماثيل المنحوتة في الأحجار الكبيرة يبين لنا كمال الذوق الفني و العلمي و النحت في العهد سالف الذكر

و أن الأشكال المرسومة على جدران مقابر ديوجره تمثل رائعاً للنحت و النقش و التجميل كما أن الصور المنحوتة في الجدران و السقوف لمغارات أجنتا تنال شهرة عالمية كبيرة و سمعة دولية رفيعة في فنون النحت و النقش و التصوير

و يمكن لنا أن نعتبر عهد سلطنة دلهي عهداً جيداً من ناحية البناء و التعمير مع أنه كان يختلف في هذا العهد أسلوب بناء المباني في شمال الهند و جنوبها إلى حد [illegible] الزخرفة و الصياغة روعة المعابد المتواجدة في كانجي و [illegible] في [illegible] (راشتراكوت) و كاجوراهو (الهند الوسطى) و [illegible] (أوريسا)

كما قام أمراء [illegible] بتشييد العمارات الفخمة و المعابد العالية في ولايتي الجنوب و أكثروا من [illegible] ثم قام أمراء [illegible] و [illegible] بوابات معابدهم التي هي [illegible] و الكمال و مراكز [illegible] للمتعبدين و الزوار

و ان المسلمين في عهدهم ركزوا الاهتمام الى فنون الخط و النقش و التعمير و ركزوها الى شيء الرقي و الازدهار فنجد في عهدهم [illegible] مثلا من السلاطين الأمراء و الملوك الثروة الذين يمنحون لهم أنواعاً كثيرة من الثقافة و الحضارة و الصناعة فاهتم (المسلمون) بفنون البناء و النقش في البداية، و لم يتعرضوا [illegible] بفنون التصوير و التجسيم لكونهما محرمين لدى الإسلام و لكنهم لم يبقوا على هذا الالتزام الى زمن طويل و أخذوا الصورة في أسلوب [illegible]

و نرى كثيرا من سلاطين المسلمين أنهم [illegible] ينقشون الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة و الأشعار الفارسية على عماراتهم الهامة و [illegible] تاريخ البناء عليها بعبارات جميلة و [illegible] كما [illegible] لا يسع المجال [illegible] لمزيد من النقش و [illegible] و مع أن الملوك المسلمين كانوا قد [illegible] مثالا رائعا في فنون النقش و البناء الإسلامي و لكنهم [illegible] بأطوار [illegible] في البناء [illegible] بخطوط هندية و [illegible] طوابع [illegible]

ان أول مساجد دلهي و أشهرها مسجد قوة الإسلام بناه السلطان قطب الدين أيبك ثم رممه شمس الدين ايلتمش في عهده حيث أضاف اليه عديدا من الآيات القرآنية الكريمة فالمسجد كله مرصع بالأوراق الزخرفية و أشكال الأزهار المرسومة

و في العهد نفسه بدأ أيبك في تشييد منارة قطب التي أكملها ايلتمش عند المنارة أيضاً مزخرفة تماماً بالآيات و النقوش

و في نفس العهد شرع بعض السلاطين لتشييد الأضرحة الفخمة و المقابر الفخمة المقوسة فعلى الجدران [illegible] الجنوبية و الشرقية لضريح ايلتمش نجد بوابات عالية ذات محاريب كما نجد في الجهة الغربية منه [illegible] محاريب [illegible] المصنوعة من الرخام الأحمر التي نحت بها الآيات القرآنية المباركة بخطي النسخ و الكوفي

ان بوابة علائي و مسجد الشيخ نظام الدين أولياء المسمى ب مسجد جماعت خانه يعتبران من أهم عمارات عهد علاء الدين خلجي تحتوي بوابته على زخرفة داخلياً و خارجياً بالأشكال الهندسية الكريمة و النقوش المتنوعة كما زين جانب شرقي لجدار أساسي بمسجد جماعت خانه بعدة من الخطوط الجميلة و النقوش الرائعة

شغف سلاطين دلهي في ترويج الصناعة و الحرفة أيضاً بكل ما كان لديها من الصفا و العطاء فكان يعمل في مصنع لإعداد الأقمشة المطروزة في عهد محمد تغلق أربعة آلاف صناع و خمسة آلاف مطرز على الحرير الذين كانوا يجهزون حللا ملكية و أردية أميرية من مختلف الأنواع و كانت بلغت الحياكة في هذا العهد قمة الأوج و الإزدهار و لذا كانت فنون الصباغة و التطريز سائدة معظم المدن الكبيرة للبلاد

فكانت تطرز الأقمشة الحريرية و القطنية و حواشي الستارات (أستار السحاب الهنديات) بالنقوش الجميلة و الخطوط الملونة و كانت تصنع الكمخاب (نوع من الأقمشة المطرزة) في أنواع متعددة كما كانت تزين بطانات الأسقف و ملاءات السرر بأنواع من عمل التطريز و النقوش

ان الهند تعرف لأصالتها الصنعية الممتازة منذ القديم فلقد أثنى العرب على السيوف الهندية في أشعارهم بالكثرة و صناعة الصحون و الأطباق و أغطيتها و الأكواب و الأباريق من النحاس الأصفر و الشمعدانات الهدارية و الأواني و صواني و عليات السمول كانت تعم البلاد كلها و صناعة الأواني الفخارية و الدلاء المطلية في عهد السلاطين المملوكيين كانت تعد صناعة من صناعات بسيطة عادية و كانت تتوفر الأواني اللامعة و القصبية في كل مدينة من البلاد كما كانت تصنع الأواني و صناديق و الأبواب و اللعب من الخشب المطلي للاستخدام في البيوت و أما صناعة الأواني الصينية و سجاجيد المنقوشة و المطرزة فكانت في طريقها إلى التطور بعد الإيجاد

و لا يخلو عهد السادات و اللوديين أيضاً عن ميول الفنون و الحرف و الصناعات الفنية و الحرفية الأخرى فتقدم اللوديون في صنع الأحزمة تقدماً ملموساً و بنوا عمارات عالية و متينة و مزخرفة

و لما جاء سلاطين مغول بسلطانهم الفنية و خصائصهم الحضارية أبلغوا فنون العصر و البناء أوج التقدم و الإزدهار فنلاحظ في عهدهم أنواعاً كثيرة من اختراعات صناعية و ابداعات ساحرة لم يسبق لها مثيل فالعمارات الفخمة المشيدة خلال فترة ما بين عهدي السلطان أكبر و السلطان شاهجهان تقدم لنا نماذج طريفة من الفن و الجمال

كما اخترعت في هذه الفترة أنواع مختلفة من تطريز الأقمشة و الأردية فكانت تطرز الأقمشة الحريرية بأعمال الزركشة و التطريز و الحواشي الذهبية على الصدر

لقد ازدهرت الصناعة في هذه الفترة ازدهارا واسعا و تطور بها عهد السلطان أكبر على وجه الخصوص فظهرت في عهده بلدان كبيرة و فتح لاهور و أحمد آباد صناعات لطيفة و أنواع نادرة من الحياكة و الزركشة و التطريز و مدينة أحمد آباد كانت تشتهر بصفة خاصة بالنسيج و الحياكة على الأطلس حيث كانت تصنع فيها الأقمشة المطرزة من أنواع كمخواب و مخمل و ستكن و كارمشروب و دري كما كانت تطور الصناعات الكبيرة بالطلاء الذهبية و الفضية و قد تصنع أعمدة الخيام كلها من الذهب و الفضة

كما شجع السلطان أكبر صناعة السجاد الكشميرية تشجيعا كبيرا و أرسل فيها أنواعا جديدة فأصبحت أولا كانت تصنع في كشمير و بخاصة أن أرسلها أنواع قصص من تشجيع السلطان أصبح في مدينة لاهور فقط أكثر من ألف مصنع لصناعتها و منذ ذلك كانت تستعمل أنواع كثيرة من الأقمشة المطلية المطرزة و الملونة الثمينة في القصور الملكية و محافل الأمبراطورية و محافل أيضا كانت تعد من مراكز معروفة لصناعة مخمل المطرز و صناعة الحرير أيضا حتى كانت تصنع هناك حوالي خمسة أو ستة أقسام من نوع مخمل

لقد اخترع مغول الصناعة مجموعة من الأواني لتجهيز الأطعمة و تقديمها على الخوان فالأواني المستعملة في مطابخ الملكية كانت تصنع من الذهب و الفضة و المعدن و الصيني و الفخار و كانت بعض الأواني المعدنية مرصعة في ستور على الأكل و فيما يلي نتحدث عن أسماء الأواني المستعملة وقتذاك في القصور و البيوت حتى تلقي الضوء على الحقبة الصناعية في عهد سلطنة مغول

قدر كبير قدر صغير قدر أصغر صيني طاس كبير طاس صغير سفرة طاس (الطبخ القدر) ملعقة ملعقة مغرفة كبيرة مغرفة صغيرة لوح خشبي

و لتقديم الفواكه و الأثمار على الخوان كان الملوك يستخدمون الأكواب الزجاجية و الأطباق المعدنية و الأواني الفضية و الأطباق الأخرى و نورد فيما يلي أسماء بعض الأدوات المنزلية و المطبخية التي كانت تستخدم في مطابخ الملوك بوجه الخصوص

المغرفة الزخرفة المخروطة الفخارية (المصنوعة من الخزف الصيني) الصحن الكبير (لتقديم الأرز) الصحن الصغير الطبق الكوب الكبير الكأس الكبير الكأس الصغير الفنجان الفلاة صحنا بوقال الأكواب الصينية الصيني الكبير - الملعقة العلبة الكوب الجرة السلة الدلو الإبريق الكبير الإبريق الصغير و الطست من مختلف الأنواع و الأحجام

ربما كانت تصنع آنية الطبخ و الأكل من الخزف و كان يستعملها الأمراء و الفقراء كلاهما لكونه يحفظ المأكولات أكثر مدة و رائحة عند الأكل أو طبخه

في القصور المصنوعة من الخزف و كانت تصنع ملاعق و أكواب و الزهريات و الحيطان و الأطباق من الخزف حسب أشكال هذه الأشياء بالألوان المختلفة و النقوش المتنوعة و كانت قد استخدم عديدة من الأواني الخزفية في تزيين مجالس الملوك و تجميل محافل الأمراء و كل أمة من كرومها مطرزة و مزخرفة و سهل في سائر الأشياء الكشميرية النادرة و الشهيرة في العالم أن فنون الصناعة و الزخرفة في المناطق الهامة و المدن المركزية للهند كانت على قمة الرقي و الازدهار

إن النقوش و الزخارف الرائعة على أدوات الكشميريين جيرانهم من فنون الهند و إيران فكانوا يصنعون أباريقهم من النحاس الأحمر على العموم و يطلون عليها النقش و الترصيع و التذهيب و يركبون فيها القبض المصنوعة من النحاس الأصفر التي تكون مثل رأس الثعبان الصيني أو نحوها و هذا الطبق مع موائد [illegible] الفنية الهندوكية عليها تحمل طابعاً إيرانياً في صنعها

و ما عدا الأواني المعدنية كان قد ازدهر فن النقش على الخشب في عهد سلاطين كشمير و لكنه لم يبق عندنا إلا نموذجاً واحداً و هو باب المسجد الجامع و شبابيكه النادرة ذات [illegible] المنقوشة

و لا تخلو العمارات المشيدة في هذا العهد عن النقش و الزخرفة و التي التي تؤكد لنا أن لها قسطاً للكشميريين في هذه الفنون

كما نرى في المدن المعمرة [illegible] و أبواب عديدة من الأبواب المصنوعة في العهد الأوسط و المصونة بأحسن الزخارف و أجمل النقوش فأصبحت المعبد الهندوكي في [illegible] مأثراً خالدة لأعمال النقش و اللطافة و الدقة و الكمال

و لا شك أن منطقة جوجرات من كبرى المناطق التي حظيت برعاية الملوك و اهتمام السلاطين و بسبب [illegible] و تخصصاتهم في النقش و الزخرفة و التجميل و لكن معظم آثارها قد اندثرت مع اندثار هؤلاء الملوك و السلاطين و بقيت لدينا نماذج من آثار الأضرحة المنقوشة و بقايا المعابد المزخرفة كنماذج خالدة لثقافة جوجرات [illegible] و تذكرنا [illegible] هؤلاء [illegible] في مجال الفن و العمارة فأعمال النقش و الحفر و الرخام على الأضرحة و المساجد و المعابد المبنية هناك [illegible] لنا حكاية ذلك العهد الذهبي الذي [illegible] لجوجرات في [illegible] القدم و [illegible] الزيارة و المشاهدة و التقدير

إن شبابيك [illegible] الجميلة التي ركبت بإحكام خاص في مسجد [illegible] بمدينة أحمد آباد [illegible] تطورها في العالم فأشكال الأشجار و الورقات المشجرة على [illegible] إلى منظر بستان ساحر كما أن ورقات النخل و أشجار [illegible] المنقوشة عليها بكل دقة و جمال تخدع

بكونها مطبوعة على القماش. خلاصة أن الزخارف [illegible] المرسومة على المنسوج المذكور كانت معجزة فنية من أيادي الفنانين المهرة و الصناع البررة الذين خدموا فنهم و شركته بمستوى العالم و بخبرة الشعب و الرسامين إلى الأبد

لقد عرفت صناعة سلك (نوع من القماش) في عهد أكبر . لوحظ أن كل من مدن بنارس و [illegible] و [illegible] (Gujarat) و [illegible] (أعظم جره) تعرف بصناعة المنسوجات القطنية و الحريرية المفصلة منذ زمان و مدينة [illegible] (بنارس) تشتهر مركزاً لصناعة [illegible] و كانت مصانع الأنسجة القطنية في مدن لاهور و ملتان و [illegible] و آكرا و [illegible] و بنارس و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] بشكل [illegible] و [illegible] و [illegible]. كما نجد في مدن [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] عددا كبيرا من [illegible] و [illegible] البارعين حتى اليوم

فمازالت الهند تعرف لأعمال النحاس الأصفر و الأحمر و الذهب و الفضة و صناعة الأسلحة المصقولة و المطبوعة و الأواني الخشبية المصنوعة باليد و أنواع [illegible] من القماش مثل [illegible] و [illegible] عند [illegible]. كما [illegible] في مجال فنون النقش و تلوين الأنسجة القطنية و الحريرية و [illegible] و ترصيع الأحجار و زخرفة الأواني و زركشة و تطريز الأقمشة منذ عهدها القديم و لا تزال الأواني المصنوعة في الهند تطلب بعدد هائل في الدول الخارجية إلى الآن

تعريب: محمد مزمل الحق [illegible]

المصادر و المراجع

١ أبو القاسم صاعد الأندلسي — طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت (١٩١٢م)

٢ السيد علي القلقشندي — صبح الأعشى، دار الكتب المصرية مصر (١٩١)

٣ بي. إن. بانيكار — تاريخ الهند [illegible] مكتبة الجامعة الملية الإسلامية دلهي (١٩٦٤م)

٤ [illegible] — الهند [illegible] (ترجمة الأستاذ [illegible]) دار الطبع بالجامعة العثمانية بحيدرآباد (١٩٢٣م)

العلامة عبد الله يوسف علي — الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الأزمنة الوسطى للتاريخ الهند الطبع الهندي به اله آباد (١٩٣٦م)

٦- كوري شنكرا اجيرا اوجها — الحضارة الهندية في القرون الوسطى ترجمة ... الطبع الهندي به اله آباد (١٩٣٦م)

٧- العلامة شبلي النعماني — مقالات شبلي (المجلد السادس) مطبعة معارف أعظم جره (١٩٣٣م)

٨- السيد صباح الدين عبد الرحمن — نظرة عابرة على العهد الأوسط للهند مطبعة معارف أعظم جرا (١٩٣٧م)
... حضارية في عهد سلاطين المسلمين للهند (مطبعة معارف أعظم جره ١٩٦٢م)

٩- السيد أبو ظفر الندوي — التاريخ الحضاري ... ندوة المصنفين دلهي (١٩٥٠م)
المظاهر الحضارية في عهد سلاطين المسلمين للهند (مطبعة معارف أعظم جرا) (١٩٦٢م)

١٠- الدكتور السيد معين الحق — ... في العهد الإسلامي أسرة مجمع المعارف كراتشي (١٩٦٥م)
تاريخ الهند و باكستان (الجزء الأول) دائرة مجمع المعارف كراتشي (١٩٦٦م)

١١- البروفيسور محب الحسن — الكشمير في عهد السلاطين (مطبعة معارف أعظم جره) (١٩٦٧م)

١٢- سيفارلي ... — تراثنا الحضاري ... (١٩٦٢م)

١٣- راما شنكرا ترپاتي — تاريخ الهند القديم (ترجمة ...) ترقي أردو بيورو نيو دلهي (١٩٨٦م)

١٤- ... — التاريخ ... للهند (ترجمة ...) ترقي أردو بيورو نيو دلهي (١٩٨٣م)

تيبو سلطـــان

(تيبو سلطان حاكم إمارة ميسور في الهند سابقاً)

بقلم : دكتور سيد داود أشرف
أمين المخطوطات في خزانة السجلات
حيدرآباد - ولاية اندرا

من أعماله المجيدة:

[احتفلت حكومة كرناتكا بذكرى مرور مائتي عام على وفاة تيبو سلطان فقد أعلن كثير ووزرائها المعنية وبرامجها موسعاً ـ برامج جديدة منذ السنة و قد تم اعداد هذا المقال باستعانة خزانة المخطوطات و السجلات بحكومة اندهرا براديش]

هناك اصطلاح عام بين ... سلطان لم يكن إلا محبا للوطن و فارساً شجاعاً فحسب و الشك أن قصص حروبه و حكايات بسالته و شجاعته قد أصبحت تزين الكتب و وجدت مكانا مرموقاً في التاريخ و أن السلطان كان مجسماً لهذه الصفات الجميلة و لكن لم يكن فيه كل ذلك فقط و إنما كان فيه المزيد إلى جانب ذلك إذ أنه كان حاكماً لإمارة قد وضع بحسب منهجيه حسن النظام و القانون و رفع مستوى الزراعة و الثقافة و تطهيره من الرذائل و السيئات و لا ينحصر الأمر في ذلك بل اتخذ خطوات سريعة لوضع أفكاره و نظرياته و آرائه موضع التنفيذ فيمكن القول إن له كانت منزلة مرموقة و شأن عظيم بين الحكام الآخرين

و في هذا المقال يعرف الكاتب بمخطوطة فارسية هامة ، مقررة باسم حكم نامة (كتاب الأوامر) فتسلط هذه المخطوطة ضوءاً كاشفاً على السياسات الزراعية و الاقتصادية و الاجتماعية و ما يتعلق بنظام الحكم و في مخطوطة بسجلات ولاية اندهرا براديش و إنما تعتبر مرجعاً تاريخياً مهماً للتاريخ

في الهند. فقد احتفظ هذه المخطوطة في عهد السلطان في عام ١٧٨٧م و في مقدمتها الأول ختم لـه و في الأخيرة منها ختم باسمه الذي توقيـع لـه و قد استوعب الكاتب المؤرخ جميع المراجع و المصادر الموفورة في داخل البلاد و خارجها. و قد ذكر في كتابه القيم المؤلف باللغة الإنجليزية باسم History of Tipu Sultan (تاريخ تيبو سلطان) مرسوماً يوجد فيه معلومات السلطان للسفراء المبعوثين إلى تركيا. كما كتب المؤلف أنه توجد بمكتبة الجمعية الآسيوية الملكية في البنغال (Royal Asiatic Society) مراسيم سلطانية أخرى أيضاً. كما ذكر الكاتب أن أوامر السلطان كانت تصدر من حرمه بجميع بلاد لغات و هي الفارسية و الكنادية و المراتية و المراسيم الأكثر الموجودة في أرشيف حكومة ... المكتوبة بالفارسية لها تراجم إلى لغتي الكنادية و المراتية. و يوجد فيها ١٢٩ مرسوماً و قد صدرت إلى مسؤول محكمة ... بمركز ... و أن التاريخ المدرج في نهاية السطر الأخير للمخطوطة يقول محرراً في ١٨ من شهر ... ١٢٢٦هـ المحمدي. إلا أن التاريخ المذكور لا يوضح الشهر و السنة ١٢٢١هـ و التقويم موضحاً تماما إلا بعد جهد جهيد.

و المخطوطة تشير إلى أن السلطان قد اتخذ خطوات جديدة في مجالات عديدة من الحياة. فقد أعلن السلطان خلال سنة ١٧٨٤م ... تقويم جديد و أسماء الشهور الاثنا عشر من شهور التقويم الهجري. إلا أن السلطان قد أجرى بعض التعديلات على تقويمه و قد غير أسماء بعض الأشهر. و في هذا التقويم الجديد يوجد الشهر الأكبر باسم رحماني. كما غير السلطان الطريقة العادية لكتابة الأعداد على الطريقة العادية الرائجة بكتب الأعداد من اليمين إلى اليسار. و لكن بموجب الطريقة الجديدة التي ابتكرها السلطان تكتب من اليمين إلى اليسار. و على هذا أن الأعداد المذكورة في المخطوطة ١٢٢٦هـ يعني أن تكون ١٢٢١ و لكن يظهر أن هذا غير صحيح حيث السلطان كان قد استشهد حتى تلك الوقت. و يتضح أن السلطان بدأ تقويمه من العام الذي أعلن فيه الرسول نبوته. ... من بعض المرسومات للتجارة الصناعة الزراعة و ... و بعض الجوانب الأخرى في عهده و إلى جانب ذلك يتضح منها أفكار السلطان الإجتماعية و تطلعاته و توجيهة المجتمع الذي كان يريد أن يبنيه.

إن مسألة تحريم المسكرات لا تزال تشكل مشكلة هامة و لها أولوية في سبيل الإدارة و إن موقف السلطان من المسكرات و تحريمها واضح كل الوضوح و ليس فيه أدنى مجال للشك. و سنجد السياسة الزراعية و الغذائية بالمرسومات الآتية التي تقول:

١- تحصيل محاصيل القمح و الذرة في منطقة ... فرض ضريبة

بأربعة أسباب الزراعة بدلا من خمسة الأسباب لحصة ثلاث سنين
و من العام الرابع يؤخذ الضريبة كاملة و في مكان كورع قصبه
الحبوب الزراعية رابحاً فيعطي أصحاب الأراضي على أساس
الاقتسام في الغلة لزيادة القمح و الذرة و تشجيع التجار على زيادة
توصيل القمح الى الأسواق و الإعطاء حسب ربح الضريبة و في هذه
الحالة يعطي للمزارعين الذين في زراعة الحمص و العدس
و الخضروات و الخضراوات و المزارعين الذين يبدأون لأول مرة
زراعة العود الهندي فيعطي امتيازهم لمدة أربع سنين من دفع
الفوائد و في السنة الخامسة يؤخذ منهم الفوائد بمقدار النصف.
و من السنة السادسة تؤخذ منهم كاملة و الخضراوات المزروعة
بعد الأشجار تترك للمزارعين لمدة أربع سنين و في القرى التي
أرضها خصبة و صالحة للزراعة فيجب أن يطلب من سكانها
و رؤسائها الرغبة في زراعة قصب السكر و في القرى التي تصلح
أراضيها لزراعة قصب السكر و غيرها و رؤسائها يتساهلون في
زراعتها فتؤخذ منهم الضريبة مضاعفا من الضريبة المقررة و إذا
بدأ المزارع زراعة الفلفل لأول مرة فتعطى منه الضريبة لمدة
خمس سنوات

إن مكانة سكان الأرض و حراستها لها أهمية كبرى في سياسة السلطان الاقتصادية و لكنه من أجل تنفيذ هذه السياسة لا يتساهل في قمع الفساد و إن مرسومات السلطان المالية تؤيد هذا القول

المزارع الذي يزرع البذور بمقدار معين فيعطى له الأرض بمقدار
ه كرور حصة لأصحاب المزرعة و يحدد هذا المقدار كل سنة بعد معرفة
الزيادة و النقص و تحمل نصف الحاصلات للحكومة و نصفها للمزارع
و يؤخذ هذا الحاصل نقداً و يجب أن لا تعطى فرمان لشخص واحد
بالأجرة و إنما قرية واحدة فقط لشخص واحد حسب النظام و تقرر
الأجرة على أساس تفاصيل الإنتاج الزراعي العالي و الناقص و تؤخذ
من الأجير و إذا لم يزرع الأجير المتعهد الأرض و تركها غير
مزروعة فتؤخذ منه الغرامة حسب الوسيلة من تحويله الأخرى و في
هذا الصدد يراعى بأن لا يظلم أحد على المزارع حسب العهد القوانية
و يعين لكل قرية حسبا هذه القوانين و إذا قتل الصحة في إذا
واجبه فيعين محله شخص آخر من أهلية من بين المزارعين و إذا
جمع محصل ضريبة أكثر مما هو المقرر و يودع في خزينة الحكومة
سيقاً لقد فيجب أن يجرى له التحقيق بطريقة جيدة و تسلم
الأراضي من جديد و محصل الضريبة كالمقدم و العهد الذين يزرعون

> *الأولين سلفهم أو بمساعدة شخص آخر للتأكد منهم الضريبة كالعشار مودع في خزانة الدولة و المسلمين و الموظفين الرسميين الآخرين الذين يحاولون بهذا الشكل في الكوي بسبب إيقاف العمل به و اعتباره محرما و تلغي هذه القاعدة منذ الآن فصاعدا أما ملتزميهم الآخرين فسوف تدفع لهم من خزانة الدولة*

أما المسكرات فحرمها السلطان مصدرا و أما للعديد من المسائل فهو مريد أن يعقد قانون بتحريم المسكرات بطريقة صارمة حتى لا تصنع المسكرات خفية أو سرا و كذلك هو يريد القضاء على لعبة الزنا و علاقات جنسية غير مشروعة حتى تكون المجتمع طاهرا و في هذا الصدد مرجعه في وثيقة المرسوم أحكام تاليها

> *تفرض الغرامة على كل من مروجي المشروبات (البهنج) في أقاليم الإمارة و لو خرق أحد هذا القانون مرراتها خلف عنه و في ساحة فيفرض عليه الغرامة كما يغلق جميع محلات بيع الخمور و يطلب من مشتغلي الخمور أن يكسروا مصنعهم بالجملة القادسة و المسيك لهذا القانون يقطع يده حتى يسمى كسارا الخمور نباتية و إذا استمع أحد من الزواج و أقام علاقات غير مشروعة مع امرأة متزوجة فيسلم للحكومة و يفرض عليه العقاب لأنه مجرم ضد الحكومة*

تعريب: شميم الحسن أمانة الله

تصويب

لقد طبع في العدد السابق (المجلد ٤٤ العدد ١) عنوان مقال الأستاذ محمد سليمان أشرف "المدخل في [illegible] المعاصر" بدلا من "المدخل إلى [illegible] المعاصر" فنحن نأسف على هذا الخطأ الفاحش و نرجو من الكاتب الفاضل الاعتذار منه

(المحرر)

حركة السيد أحمد خان التعليمية

بقلم: البروفيسور أطهر الواسطي
قسم الدراسات الإسلامية
بالجامعة الملية الإسلامية - دلهي الجديدة

التعليم الديني:

و قد ظل المؤتمر منذ البداية يؤكد على تعيين مدرسي العلوم الدينية في المدارس في جميع مراحل الدراسة من الابتدائية إلى العليا و لهذا تكرر من مرة القرارات عديدة حول ضرورة تحفيظ القرآن الكريم(١) فقد وافق في ١٨٩٦م على قرار داعياً الى اصلاح الكتاتيب و المدارس التقليدية التي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم و تدريس العلوم الدينية (٢) و في ١٨٩٨ على قرار آخر حول وجوب تدريس العلوم الدينية في كلية عليجره الاسلامية (٣) كما اتخذ في ١٩٠٦م قراراً أبدى فيه تأييده لدار العلوم التابعة لندوة العلماء بهدف حثت الحكومة الانكليزية لولاية اترابراديش عن سلطاتها و لتسديد قيمتها و التي كانت قد أصبحت منها الثقل منها و اتخذ المؤتمر كذلك قرارات أخرى عديدة مؤكدة من خلالها على ضرورة تدريس العلوم الدينية لطلاب المدارس الانجليزية و العصرية و كانت النتيجة أن سمحت الحكومة المتحدة لولاية آگرا و أوده و ولاية البنجاب بتدريس العلوم الدينية للطلاب المسلمين في المدارس و الكليات الحكومية (٤)

و عندما واجهت فتنة الردة رأسها في أوائل هذا القرن تحرك المؤتمر في معارضتها و قام بإعداد كتيبات خاصة لتعليم القرآن الكريم و اللغة الأردية للمسلمين السذج الذين كانوا يعيشون في القرى و الأرياف و تلقين ترجمة سهلة للأدعية ليجعلهم بالدين (٥). و اتخذ المؤتمر قرارات عديدة حول انشاء مدارس مختلفة في طول أنحاء البلاد من أجل تدريب الأئمة و تربية الطلاب المتخرجين من المدارس الاسلامية للعمل كالدعاة فيما بين عامة المسلمين (٦) و أكد على ضرورة اعداد كتب و رسائل سهلة بهذا الموضوع و نشرها و توزيعها على الناس (٧) الى جانب ايلاء الاهتمام لإعداد رسائل علمية موجزة حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (٨)

و على كل فعلى ضوء ما ذكرنا آنفاً لا نكون مخطئين أو مبالغين إذا قلنا أن لمجهودات المؤتمر كان دوراً بارزاً في إجراء و تطوير دراسة العلوم الدينية في جامعة عليكره الإسلامية

العلوم الصناعية و التكنولوجية

كان المفكرون و الزعماء الإسلاميون في الهند قد اتفقوا على ضرورة ترويج العلوم الصناعية و التكنولوجية في الهند بعد ١٨٥٧م و الذي كان قد أصبح من أهم متطلبات الوقت في ضوء المتغيرات السريعة الحادثة في مجال الصناعة والتكنولوجيا. كانت الصناعات التقليدية في الهند تمر بمرحلة خطيرة جدا من تاريخها و فقدت أهميتها الأخيرة أمام موجة من الصناعات الحديثة المتطورة بواسطة الآلات و الأجهزة التي تدفقت إلى البلاد مع الإنجليز و كان أهلها قد بدأوا يفلسون و يستقيلون الصناعة بعد أن صارت منتجات أوروبا تملأ الهند و أسواقها (٩) و من هنا فقد كانت الحاجة ملحة لإنقاذ الهنود من تلك الأزمة الاقتصادية و الصناعية و ذلك الإفلاس المستمر من خلال ترويج العلوم الصناعية و التكنولوجيا فيما بينهم. فوجه المؤتمر في اجتماعه السنوي المنعقد في ١٩٠٦م نداءاً إلى الأمة الإسلامية لإجراء ترتيبات خاصة لدراسة العلوم الصناعية و الهندسية و التكنولوجية (١٠) و لكن لم يجد للأسف تأييداً مطلوباً و أكد المؤتمر من خلال قرار اتخذه في ١٩٢٣م في الاجتماع المنعقد في لاهور على هذا الأمر من جديد و شكلت لجنة خاصة لدراسة هذا الموضوع و إعداد تقرير شامل حول طريقة ترويج العلوم الصناعية و التكنولوجية فيما بين المسلمين (١١) و قدمت هذه اللجنة المكونة من الدكتور ضياء الدين و الحافظ محمد إبراهيم و النواب خليل أحمد المطلوبة تقريرها في الاجتماع السنوي المنعقد في مدينة سورت (١٢) و لكن الحقيقة المرة التي يجب أن نصرح بها هنا هي أن كل هذه الجهود المضنية للمؤتمر ذهبت سدى و لم يول المسلمون لهذا الجانب المهم الاهتمام اللائق به

تعليم المرأة :

إن موضوع تعليم النساء كان يتسم بأهميته و حساسيته بالغا في عهد السير سيد أحمد خان و لذلك فإنه على الرغم من كونه من المؤيدين المتحمسين لتعليم المرأة و تثقيفها (١٣) رأى من المصلحة و الذي كان من متطلبات ذلك الوقت أيضا أن لا يتعرض لهذا الموضوع في شكل حماسي نشيط و لكنه لم يتغافل عنه تماما أيضا فقد اتخذ المؤتمر في ١٨٩٦م قرارا بخصوص إنشاء كتاتيب و معاهد مستقلة لتعليم البنات وفقاً للأصول و المتطلبات الإسلامية (١٤) و بعد سنوات قليلة أثار المؤتمر موضوع تعليم المرأة من جديد مؤكداً من خلال قرار اتخذه في هذا الصدد

و بالنسبة لنوعية التعليم فان المؤتمر يقول بأنه يجب أن يكون هذا التعليم بحيث تتمكن بفضله المرأة من التطور و التكيف في حياتها العلمية و العقلية و تربية الأبناء و البنات تربية إسلامية صحيحة (١٥) و وافق المؤتمر في الاجتماع السنوي له المنعقد في ١٨٩٦م على اقتراح حول ضرورة إنشاء مدرسة خاصة مستقلة لتعليم البنات (١٦) و في نفس الوقت تطور تشكيل لجنة خاصة دائمة للمؤتمر تعنى بهذا الموضوع بصفة خاصة (١٧)

و بما أن الشيخ محمد عبد الله كان لديه اهتمام خاص بتعليم المرأة تم اختياره كسكرتير عام لهذه اللجنة الخاصة للمؤتمر و التي ظل أعضاؤها يشاركون في الاجتماعات السنوية للمؤتمر باستمرار و نتيجة للجهود المتواصلة للشيخ عبد الله و زوجته السيدة وحيد جهان فقد تم إنشاء مدرسة خاصة لتعليم البنات في جامعة عليكره الإسلامية أصبحت معروفة فيما بعد على مستوى البلاد و هي حتى اليوم تدرس العلوم القديمة و العصرية إلى درجة البكالوريوس و قد نالت الكثير من المتخرجات من هذه الكلية شهادات الماجستير و الدكتوراه و تعمل بكفاءة موفقة في مختلف مجالات الحياة و هكذا فانه لا يكون من المبالغة القول بأن المؤتمر أدى دورا هاماً و أساسياً في تعليم المرأة و تثقيفها حيث نجح في استرعاء انتباه عامة المسلمين إلى هذا المجال لدرجة تأسست مدارس عديدة في مختلف أنحاء البلاد لتعليم البنات المسلمات يصل بعضها إلى مستوى الكليات المتوسطة و العالية

العلوم الشرقية :

بجانب الاهتمام بالعلوم الغربية العصرية فقد ركز المؤتمر اهتمامه على نشر و تدريس العلوم الشرقية أيضا و استمر يتخذ في اجتماعاته السنوية قرارات أكد من خلالها على ضرورة الاهتمام بدراسة و تطوير العلوم الشرقية و اللغتين الفارسية و العربية (١٨) و طلب من الحكومة اجراء منح دراسية خاصة للطلاب المسلمين تشجيعا لهم على دراسة هذه العلوم و اللغات الشرقية (١٩) و أكد على ضرورة جمع المخطوطات القديمة باللغتين العربية و الفارسية و تحقيقها و نشرها (٢٠) احتفاظا بالتراث الاسلامي الشرقي القديم و طالب أيضا بتبني تعليم الطب اليوناني و تطويره (٢١)

ليس هناك من شك في أن المؤتمر ظل يحمل أفكارا تعليمية ناضجة و استمر ينادي بضرورة تدريس طلاب المدارس الدينية العلوم العصرية أيضا من الطبيعة و الفلسفة و التاريخ إلى جانب الاقتصاد بموضوع دراسة مقارنة للأديان (٢٢) و مع ذلك فانه لم يتغافل قط عن العلوم و الآداب الشرقية الاسلامية بل تقدم دائما إلى الأمام متخذا قرارات مفيدة و إجراءات عملية للاحتفاظ بها كلما شعر بخطر الزوال و الهبوط بهذه العلوم و اللغات الشرقية في الهند (٢٣)

الإصلاح المجتمعي :

كانت قضية إصلاح المجتمع من تلك القضايا العامة الهامة التي اعتبرها زعماء المسلمين جديرة بالاهتمام الفوري بعد ١٨٥٧م فقد كانت الحياة الاجتماعية و الثقافية للمسلمين قد تعطلت بسبب ما كان قد راج و ساد بينهم من الأفكار و العقائد الباطلة و الأعمال الفاسدة و التقاليد الوهمية المدمرة كما أن نهاية النظام الإقطاعي القديم خلقت قضايا اقتصادية جديدة للمسلمين إلى جانب أمور أخرى أيضا و الأمر الذي زاد الطين بلة هو أن المسلمين ظلوا في غفلة عن كل هذه القضايا و غلوا و أسرفوا في التبذير و الإسراف مسرورين لأنفسهم هروباً من البلايا و الخطايا و جموحا من القضايا و المشكلات (٦٤) و بما أن الجهل كان السبب الرئيسي لهذه الأمراض الاجتماعية لم يكن من الممكن النجاح في أي مجال من مجالي التعليم و إصلاح المجتمع بدون أن يبدأ العمل للإثنين معا

و منذ تأسيس تلك الندوة أعلن المؤتمر حربا ضد التقاليد الفاسدة الراسخة في مجتمع المسلمين و صرح بأن تعليم النساء يستحق أكثر من أي شيء آخر أن ينفق عليه أموال الزكاة (٦٥) كما أنه أسس فرعا مستقلا له بهدف إصلاح المجتمع في ١٩٠٦م و أعد رسائل و بحوثا علمية متصلة بالموضوع و نشرها فيما بين عامة المسلمين (٦٦) و اختير الخواجه غلام الثقلين أمينا عاما لهذه اللجنة المشكلة من المؤتمر فنفخ فيها روحا بفضل ما كان يوجد لديه من علم و فضل و ما كان يتمتع به قلبه من حماس و عاطفة نحو المسلمين و كان الناس يسمعون بآذان صاغية و باهتمام بالغ إلى أحاديثه و خطبه في الاجتماعات و التي كانت تترك في نفوسهم تأثيرا قويا و عميقا

و أصدر الخواجه غلام الثقلين مجلة باسم *العصر الجديد* في ١٩٠٣م في محاولة للتخلص من جذور تلك العقائد و الأفكار الباطلة القديمة التي كانت قد رسخت في أذهان عامة المسلمين إلا أن المنية اختطفته و حل محله أمينا للجنة المولانا خليل أحمد الشكوري الذي ظل يعمل لإصلاح المجتمع طوال حياته من خلال جهوده الشخصية و محاضراته العلمية الأدبية التي اشتهرت باسم [illegible] (٦٧).

و اتخذ المؤتمر قرارات عديدة في الاجتماعات المختلفة بهدف تحسين الوضع الاقتصادي للمسلمين و حثهم على الإنفاق على تعليم الأبناء و البنات بدلا من الإسراف في التقاليد الواهية الفاسدة في مناسبات الفرح و العزاء (٦٨).

إلى جانب القيام بهذه الأعمال الإصلاحية فقد ظل المؤتمر يهتم بأعمال الإصلاحات و التعديلات على اللغة الأردية أيضا سعيا وراء تطويرها و تسهيلها و يدل على ذلك بوضوح ذلك القرار الذي اتخذه المؤتمر في الاجتماع السنوي لعام ١٨٩٦م و الذي جاء فيه

إن اللغة الأردية تفتقر إلى البحوث و المقالات المتصلة بالأخلاق و الخالية من الأسلوب الشرقي المعقد و الثقيل و البسيطة للطلاب و المهذبة في امتثال العواطف البشرية الهائلة و نظرًا للأهمية و الحاجة يجب أن يهتم أعضاء مثل هذه البحوث ليطبعها المؤتمر و ينشرها فيما بين المسلمين (٢٩)

و بما أن الأفكار العلمانية و العقائد الفاسدة كانت قد رسخت في أذهان عامة المسلمين المثقفين الذين كانوا قد استمدوها من الغرب بسبب جهلهم فإن المؤتمر حاول من خلال المحاضرات و الاجتماعات أن يخلق لدى الناس وعيًا بأن تلك الأفكار و العقائد ليست فاسدة من الناحية العلمية و الثقافية فحسب بل هي معارضة للشريعة الإسلامية أيضًا (٣٠).

و هكذا شكّل المؤتمر لجنة مستقلة لإصلاح المجتمع فأخذت على عاتقها الأمور التالية هدفًا لها (٣١)

١- الامتناع من تناول كافة أنواع المخدرات و المسكرات
٢- تجنب الإسراف في الإنفاق في مناسبات الفرح و المآتم
٣- الامتناع من تزويج الأبناء و البنات في سن الطفولة و في غير رضاهم
٤- منع الطلاب المسلمين من استخدام [illegible]
عدم إعطاء أي حق للمسؤولين الأوروبيين من ذوي [illegible]
٦- الامتناع من السفر الذي جاءت به الأساليب الحديثة العصرية للمعيشة
٧- اتخاذ جميع الخطط اللازمة لإصلاح المجتمع من المنكرات.

و لم تقتصر النشاطات الإصلاحية للمؤتمر على القضاء على التقاليد الجاهلية غير الإسلامية الرائجة في مناسبات الفرح و المآتم فحسب بل و تجاوزتها إلى المؤسسات التي كانت تهدف إلى الإصلاح فقد أولى المؤتمر اهتمامه للسجون أيضًا و طالب من الحكومة اتخاذ الإجراءات اللازمة لإصلاح من يمكث فيها من السجناء المجرمين محاولة لإبعادهم عن الجرائم و الآثام و تعويدهم على الحياة الاجتماعية الصالحة (٣٢)

الخدمات الثقافية :

يراد بالثقافة تلك الصورة للحضارة التي تتصل باللغة و الآداب و العلوم و الفنون و الأصل في كون اللغة وسيلة للأفكار و نشر كل من الآداب و العلوم و الأفكار الإصلاحية و الآراء السليمة و الجهد الذي سنتحدث عنه فقد كانت اللغة في الهند قد أحدثت فيه أزمة خطيرة و مشكلة معقدة فبينما كانت للحكومة لغة كانت للرعايا من الهنود لغة أخرى الأمر الذي كان يؤدي إلى حدوث نوع من الفوضى و الاضطراب في المجتمع (٣٣)

أما اللغة الأردية فإنها لم تكن لغة للمسلمين فحسب بل كانت أيضًا

لغة لعدد كبير من الناس الثقافي المتحدثين على رغم انحصارها في ذلك الزمان على المجالس و السهرات الأدبية و على بلاط الأمراء و الأغنياء و لذلك فقد كانت الحاجة شديدة إلى استخدام اللغة الأردية في مجالات السياسة و الإعلام و اتخذ المؤتمر في هذا الصدد نفس الموقف الذي اتخذه السير سيد أحمد خان تجاه الأردية الذي يؤكد على ضرورة كونها سهلة سائغة مؤثرة و قد سلكت طبقة من الأدباء و الكتاب حاملة لهذا الاتجاه السير أحمد خان كل في طليعتها الأمير محسن الملك و المولوي نذير أحمد و المولانا حالي و المولانا شبلي و المولوي ذكاء الله و المولانا وحيد الدين سليم و استمر المؤتمر في نشاط و حماس دائمين يخدم اللغة الأردية و يعمل على تطويرها و نشهد على ذلك تلك القرارات التي اتخذها المؤتمر في هذا الصدد خلال اجتماعاته السنوية و أنشأ المؤتمر في ١٩٠٣م جمعية خاصة لتطوير اللغة الأردية و ترويجها لتصبح ذائعة الصيت فيما بعد و تتمتع بمكانة بارزة متميزة جدا بفضل الجهود الجبارة لرئيسها العالم و العلامة عبد الحق الذي كان يعرف حقا بأبي اللغة الأردية (٢١)

و استمر المؤتمر في سيره الدؤوب في خدمة اللغة الأردية و تطويرها من خلال إعداد الكتب و الرسائل و المقالات فيها و نشرها و اعتنى بإعداد و نشر كتب من السير و التاريخ أيضا من قبل مكتبته إلى جانب إنشاء مطبعة لطبع مجموعة من الكتب و المقالات للإصلاح و إدخال الإصلاحات على الصحافة و الإعلام نظرا لما يتمتعان به من تأثير قوي على الناس و توجيههم و صياغة أفكارهم و آرائهم و أصدر المؤتمر كذلك جريدة أسبوعية باسم جريدة المؤتمر و أنشأ قسما مستقلا له بمناسبة اليوبيل الذهبي له باسم مؤتمر للصحافة الأردية سماه دورا الإصلاح و التشكيل الجديد لها(٢٥)، و تم كذلك تأسيس قسم مستقل خاص للصحفيين للعمل في هذا المجال تحت رئاسة المعلي منشي دیا نرائن نگم رئيس تحرير مجلة زمانه و جريدة أخبار آزاد المشاركين في التطوير ربما كان أول اتحاد للصحفيين و الكتاب باللغة الأردية يعود فضل إنشائه إلى المؤتمر و لذلك فإننا نستطيع أن نقول و بدون أي تردد نشهد أن كل ما توفر من وعي و شعور و اهتمام بتطوير اللغة الأردية و آدابها في الهند لم يكن إلا ثمرة طيبة لجهود المؤتمر المذكورة الجبارة المبذولة في هذا المجال

الأمور التعليمية :

كان الهدف الأساسي من وراء إنشاء المؤتمر الاهتمام بإصلاح أوضاع المسلمين و تعليمهم و تثقيفهم و لا شك أن لكل من التعليم و الإصلاح الاجتماعي علاقة بالشؤون الاقتصادية و قد ركز المؤتمر في مجال الاقتصاد محاولته على أمرين إجراء المنح التعليمية و قضية الأوقاف.

المنح التعليمية :

بما أن الوضع الاقتصادي للمسلمين كان سيئا جدا و لم يكن بوسع الأغلبية منهم تحمل نفقات تعليم أبنائهم و بناتهم فإن الطلبة كانت محدودة جدا لأن بعض الأكفاء منهم و طوروا سيقدموا المنح الدراسية للطلاب المتفوقين الأذكياء و شعروا بهذه الحاجة أكد المؤتمر على ضرورة إجراء المنح التعليمية للطلاب المسلمين التي يستطيعونها في الاجتماع السنوي له لعام ١٨٨٧م (٣٦) و تقدم في الاجتماع السنوي القادم لعام ١٨٨٨م مترجيا إلى الحكومة حول أخذ الطلاب من أبناء المسلمين الفقراء و المتفوقين مستثنيا من الرسوم التعليمية (٣٧) و في ١٨٩٦م بعد الموافقة على اقتراح للمؤتمر كان مطالبا أن تحاول اللجنة التي تم تشكيلها بهدف إجراء المنح التعليمية لجمع التبرعات و إعطاء منح شهرية لطالب مسلم يدرس في الكلية أو يرغب في الدراسة فيها مساعدة له في دراسته (٣٨) و قد سبح هذا الاقتراح بتأييد و استحسان المشاركين في الاجتماع السنوي لعام ١٨٩٩م و الذي تم فيه اتخاذ قرار حول تقديم المنح التعليمية خاصة للطلاب الفقراء الراغبين للتوجه إلى خارج البلاد بهدف الدراسات العليا في المجالات الصناعية و التكنولوجية (٣٩) كما أن المؤتمر طلب من أعضائه و منسوبيه بذل الجهود لجمع التبرعات حيثما يحصلون للإنفاق على شراء الكتب الدراسية للطلاب الفقراء و دفع رسومهم التعليمية (٤٠) و من خلال إلقاء نظرة على تقارير الاجتماعات السنوية للمؤتمر المنعقدة في لاهور و كراتشي و ميروت و رنكون و لكناؤ و داكا يتضح التعرف على تلك القرارات التي أكد المؤتمر بها و شدد على ضرورة إجراء المنح التعليمية للطلاب المسلمين

قضية الأوقاف :

من الأعمال المشكورة التي قام بها المسلمون الأغنياء في الماضي و التي لا يزال المسلمون يستفيدون بثمارها الطيبة إلى الآن هو القيام بوقف أراضيهم و ممتلكاتهم في سبيل الله و خير الأمة و يوجد في الهند اليوم من الأراضي و الممتلكات الموقوفة ما تم تخصيصها لمساحات المقابر و المساكن و المدارس و منها المساجد و رعايتها و الاهتمام بالعلوم الدينية و تطويرها أن الذين وقفوا ممتلكاتهم في سبيل الله و خير الأمة كانوا حسن النية و نالوا جزاءهم عند الرب العلي القدير الذي لا يضيع أجر المحسنين و لكن الذين خلفوهم و تولوا أمور الأوقاف منهم أخطأوا و للأسف الشديد بسبب فساد النية و حب المال و الثراء فاستغلوا ممتلكاتها على خلاف رغبات الواقفين و نواياهم لتحقيق مآربهم الذاتية و مصالحهم الشخصية الأمر الذي دفع المؤتمر لتوجيه أنظار المسلمين إلى هذا الوضع السيئ للأوقاف في اجتماعاته السنوية في ١٨٩٦م و ١٩٠٢م و ١٩١٣م و ١٩٢٢م و ١٩٢٨م (٤١) من خلال قرارات اتخذها في هذا الصدد مؤكدا على ضرورة صرف ممتلكاتها في سبيل الله و على نشر التعليم لاسيما فيما بين عامة المسلمين

الملحقات

الملحق الأول

نظرة على الإجتماعات السنوية للمؤتمر التعليمي الإسلامي لعموم الهند

رقم	عام الاجتماع السنوي	المدينة التي انعقد فيها الاجتماع	رئيس الاجتماع
١	١٨٨٦م	عليجره	المولوي محمد سميع الله
٢	١٨٨٧م	لكناو	القاضي محمد اختيار علي العلوي
٣	١٨٨٨م	لاهور	السردار محمد حيات خان
٤	١٨٨٩م	عليجر	السردار محمد حيات خان
٥	١٨٩٠م	اله آباد	السردار محمد حيات خان
٦	١٨٩١م	عليجر	الأمير محمد إسحاق خان
٧	١٨٩٢م	دلهي	المولوي محمد سميع الله خان
٨	١٨٩٣م	عليجر	الأمير محسن الملك مهدي علي خان
٩	١٨٩٤م	عليجره	القاضي محمد شاه دين
١٠	١٨٩٥م	شاهجهان فور	الأمير محسن الملك مهدي علي خان
١١	١٨٩٦م	ميرت	الأمير عماد الملك سيد حسين البلكرامي
١٢	١٨٩٨م	لاهور	الأمير فتح علي خان القزلباش
١٣	١٨٩٩م	كلكتا	القاضي سيد أمير علي
١٤	١٩٠٠م	رامفور	الأمير عماد الملك سيد حسين البلكرامي
١٥	١٩٠١م	مدراس	القاضي بهدوم
١٦	١٩٠٢م	دلهي	السير آغا خان
١٧	١٩٠٣م	بومباي	القاضي بدر الدين طيب جي
١٨	١٩٠٤م	لكناؤ	تهيودور ماريسون
١٩	١٩٠٥م	عليجر	الخليفة سيد محمد حسين
٢٠	١٩٠٦م	داكا	القاضي سيد شرف الدين
٢١	١٩٠٧م	كراتشي	المولانا ألطاف حسين حالي

٢٢	١٩٠٨م	أمريتسار	الأمير السير خواجه سليم الله
٢٣	١٩٠٩م	رانجون	المهاراجا علي محمد خان (راجا محمودآباد)
٢٤	١٩١م	ناجبور	عبدالله يوسف علي
٢٥	١٩١١م	دلهي	الأمير حميدالله
٢٦	١٩١٢م	لكناؤ	الجنرال السيد حسن البلغرامي
٢٧	١٩١٣م	أغره	القاضي شاه دين
٢٨	١٩١٤م	راولبندي	السير المولوي رحيم شا
٢٩	١٩١٥م	بونا	القاضي عبدالرحيم
٣	١٩١٦م	عليجره	الميان محمد شفيع
٣١	١٩١٧م	كلكتا	السيد محمد أكبر حيدر علي الحيدري
٣٢	١٩١٨م	سوبور	ابراهيم رحمة الله
٣٣	١٩١٩م	حيدر آباد السند	السير المولوي رحيم بخش
٣٤	١٩٢م	أمراوتي	ابراهيم هارون جعفر
٣٥	١٩٢٢م	عليجره	ميان أفضل حسين خان
٣٦	١٩٢٣م	عليجره	السير آفتاب أحمد خان
٣٧	١٩٢٤م	بومباي	ابراهيم رحمة الله
٣٨	١٩٢٥م	عليجره	الأمير عبدالقيوم
٣٩	١٩٢٦م	دلهي	القاضي عبدالرحيم
٤	١٩٢٧م	مدراس	السير شيخ عبدالقادر
٤١	١٩٢٨م	أجمير	القاضي السير شاه محمد سليمان
٤٢	١٩٣م	بهوبال	السير راس مسعود
٤٣	١٩٣١م	روهتك	سيد رضا علي
٤٤	١٩٣٢م	لاهور	النواب مظفر حسين الطريقي
٤٥	١٩٣٤م	ميرت	القاضي السير عبدالقادر
٤٦	١٩٣٥م	أغره	الدكتور السير ضياء الدين أحمد
٤٧	١٩٣٦م	رامبور	السير آغا خان
٤٨	١٩٣٧م	عليجره	الأمير حي عبدالحكيم

١٩	١٩٣٨م	بتنا	المولوي أبو القاسم فضل حق
٥	١٩٣٩م	كلكتا	الأمير كمال يار جنگ
١	١٩٤م	بومبا	المولوي فضل حق
٥٢	١٩١٢م	ملسمرد	المولوي ظهير يار جنگ
٥٣	١٩١٤م	جبل فور	الأمير مومن الحق
٤	١٩٥٠م	الور	الأمير لياقت علي خان
٥٥	١٩٥٢م	عليجره	الدكتور ذاكر حسين خان
٥٦	١٩٥٥م	مدراس	الدكتور ذاكر حسين خان

الملحق الثاني

نظرة على الولايات التي استضافت فيها الاجتماعات السنوية للمؤتمر

رقم	الولاية	عدد الاجتماعات	أسماء المدن التي استضافت فيها الاجتماعات بالولاية
١	اترابرديش	٣٦	عليكره (٣) لكناو (٢) اله آباد (١) سهارنفور (١) ميرت (٦) رامفور (٩) اجمير (٣) بنارس (١)
٢	مهاراشترا	٦	بومباي (٢) بونا (٣) امراوتي (١) ناغفور (١)
٣	دلهي	٤	دلهي (٤)
٤	بنجاب (باكستان)	٤	لاهور (٣) راولبندي (١)
	بنغال الغربية	٢	كلكتا (٢)
٦	تامل نادو	٢	مدراس (٢)
٧	سنده (باكستان)	٢	كراتشي (١) خيرفور (١)
٨	بنجاب	١	امرتسار (١)
٩	هريانا	١	روهتك
١	مدهيابراديش	١	جبل فور
١١	غجرات	١	سورت (١)
١٢	راجستهان	١	اجمير (١)

١٣	سهار	٦	بيما
١٤	سيالكوت	١	داكا
١٥	بورما	١	رنغون

الملحق الثالث

الأمناء الفخريون للمؤتمر

١	السير سيد أحمد خان	منذ عام ١٨٨٦م الى ١٨٩٨م
٢	الأمير محسن الملك سيد مهدي علي خان	منذ عام ١٨٩٨م الى ١٩٠٧م
٣	الأمير وقار الملك مشتاق حسين خان	منذ عام ١٩٠٧م الى ١٩١٦م
٤	الأمير محمد إسحاق خان	منذ عام ١٩١٦م الى ١٩١٩م
٥	سيد محمد علي	منذ عام ١٩١٩م الى ١٩٢٠م
٦	الأمير حبيب الرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٢٠م الى ١٩٤٩م
٧	الأمير عبدالرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٤٩م الى ١٩٥٨م
٨	سيد مسعود توسكي	منذ ديسمبر ١٩٥٨ الى مارس ١٩٥٩م (نيابة)
٩	السيد محمد عمار أحمد خان	منذ عام ١٩٥٩م إلى ١٩٦٤م
١٠	البروفسور نوار الحق حقي	منذ عام ١٩٦٤م إلى ١٩٧٠م
١١	الأمير سيد الرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٧٠م الى الآن

الملحق الرابع

الأقسام المختلفة الحالية للمؤتمر و رؤساؤها لدى المهرجان الذهبي لها

رقم	الأقسام	الرؤساء
١	قسم الإصلاح الاقتصادي و الاجتماعي	البروفسور محمد الحاج يونس
٢	قسم شئون المرأة	الشيخ محمد عبدالله
٣	قسم التعليم الابتدائي و المدارس الأردية	سيد آل ذاكري خان
٤	قسم التعليم الثانوي	الدكتور ذاكر حسين
٥	قسم التعليم العالي	عبدالله يوسف علي

٦	قسم التعليم الفني	السيد أ. ج. خان
٧	قسم تعليم الكبار	المولوي محمد طفيل أحمد المنگلوري
٨	قسم المدارس الإسلامية	الشيخ حسين أحمد المدني
٩	قسم العلوم و الدراسات الإسلامية	العلامة السيد سليمان الندوي
١٠	قسم تطوير اللغة الأردية و ترويجها	المولوي عبد الحق
١١	قسم الصحافة الأردية	المولوي بشير الدين رئيس تحرير البشير الصادرة في إيتاوه و الكاتب [illegible] رئيس تحرير جريدتي [illegible] و [illegible] الصادرتين في كانفور

[illegible] ـ

[illegible] خالد القاسمي

الهوامش

١ محضر أعمال الاجتماع الثاني عشر لعام ١٩٢٦م ص ١٨٥
٢ محضر أعمال الاجتماع الثالث عشر لعام ١٩٢٨م ص ٢٣٣ و ٢٤١
٣ محضر أعمال الاجتماع العشرين للمؤتمر لعام ١٩٣٦ ص ١٤٦
٤ تاريخ المؤتمر الأول لمحمد أمين الزبيري ص ١٩٢
٥ نفس المصدر ص ٦
٦ نفس المصدر
٧ نفس المصدر
٨ نفس المصدر
٩ راجع للتفصيل كتاب شيخ الهند مولانا محمود الحسن حياته و أعماله (باللغة الأردية) للأستاذ [illegible] طبع عليگره عام ١٩٧٣م
١٠ محضر أعمال الاجتماع السابع عشر للمؤتمر لعام ١٩٠٤م ص ٣٦
١١ محضر أعمال الاجتماع الرابع و الأربعين للمؤتمر في عام ١٩٣١م ص ٩٣
١٢ تاريخ المؤتمر الأول لمحمد أمين الزبيري ص ٦٥
١٣ رحلة إلى لندن للسير سيد أحمد خان ص ١٨٩
١٤ محضر أعمال الاجتماع [illegible] للمؤتمر لعام ١٩٣٣م ص ١٩
١٥ محضر أعمال الاجتماع السادس للمؤتمر المنعقد في ١٨٩١م ص ٣٦
١٦ محضر أعمال الاجتماع الثالث عشر لعام ١٨٩٨م ص ١٠٦

١٧- تاريخ المؤتمر للمبارك فوري ص ٢٦
١٨- مختصر أعمال الاجتماع السادس لعام ١٨٩١م ص [illegible]
١٩- مختصر أعمال الاجتماع الخامس عشر لعام [illegible]م ص [illegible]
٢٠- مختصر أعمال الاجتماع السابع والعشرين لعام ١٩١٤ ص ٦
٢١- مختصر أعمال الاجتماع السابع لعام ١٨٩٢م ص ١٤٣
٢٢- مختصر أعمال الاجتماع الأربعين لعام ١٩٢٧م ص [illegible]
٢٣- مختصر أعمال الاجتماع [illegible] لعام [illegible]م ص ١٣٩ [illegible]
٢٤- السير سيد أحمد خان لـ [illegible] ص ٩٦ طبع [illegible] ١٩٦٦م
٢٥- مختصر أعمال الاجتماع [illegible] لعام [illegible]م ص ٩
٢٦- تاريخ المؤتمر [illegible] ص [illegible]
٢٧- نفس المصدر
٢٨- نفس المصدر السابق
٢٩- مختصر أعمال الاجتماع الثالث لعام [illegible]م ص [illegible]
٣٠- مختصر أعمال الاجتماع السادس لعام ١٨٩١م ص ٨٩
٣١- مختصر أعمال الاجتماع [illegible] عشر لعام [illegible] ص [illegible]
٣٢- مختصر أعمال الاجتماع السابع عشر لعام [illegible] ص [illegible]
٣٣- مختصر أعمال الاجتماع الرابع والعشرين لعام [illegible]م ص ٢
٣٤- [illegible] ص ١٣٩ [illegible] طبع [illegible] عام ١٩٣٩م
٣٥- التفاصيل راجع [illegible]
٣٦- مختصر أعمال الاجتماع [illegible] ص [illegible]
٣٧- مختصر أعمال الاجتماع الثاني لعام [illegible] ص [illegible]
٣٨- مختصر أعمال الاجتماع الثالث ص [illegible]
٣٩- مختصر أعمال الاجتماع [illegible] عشر لعام [illegible]م ص [illegible]
٤٠- تاريخ المؤتمر [illegible] ص [illegible]
٤١- مختصر أعمال الاجتماع الثالث ص [illegible]

قيمـــة الشـــاه

بقلم : أمريتا بريتم

لم يكن يدعوها أحد الآن باسم (لاجوردي) بل كلهم كانوا يقولون لها قيمة الشاه . كانت تعلم أنه تلقب الى عنفوان شبابها في سوق الجوهرات الرئيسي في لاهور و قد تسبب ازالة حجابها على يد ثري كبير في الإقليم مقابل خمسة آلاف روبية و هنا كان جمالها قد أشعل النار في المنطقة حتى لعرفت المدينة كلها و لكنها استقلت يوما تاركة سوق الجوهرات الرئيسي لتقيم في أضخم شقق هناك

كانت الدنيا هي هي و لكن يظهر أنها لم تنسى إسمها قيمة فكان كل واحد يدعوها قيمة الشاه

كان صوتها ساحرا فلم يكن أحد يستطيع أن ينافسها في بلدتها لذلك نسي الناس اسمها و لم ينسوا صوتها فمن كان في المدينة يملك جراموفون كانت لديه اسطوانات مسجلة بصوتها ليستمع الى أغانيها

لم يعد ذلك خافيا على أحد حتى أهل بيت الشاه أيضا كانوا على معرفة تامة بذلك . ان ابن الشاه الكبير الذي بلغ الآن سن الزواج لما كان طفلا رضيعا كانت زوجته قد هددت بالانتحار بتناول السم و لكن الشاه قال لها و هو يطلب قلادة الدرر

انها ستكون نعمة لنسل يوما ان جوهري ليس الا مثل سوق الجوهري ألم تسمعي أن تلمس شيء يجعل مئات الألوف من الناس محظوظين و الفقراء مليونيرات حسب حظهم السعيد و النحس إنها بالقرب قد وجدناها بحسن حظنا فمنذ اليوم الذي وجدناها نكسب ثروات طائلة فكل شيء تلمسه بيديها يتحول فوراً الى الذهب

لكنها سوف تخرب بيتنا كما خربت بيوت الآلاف . أجابت زوجته بلهجة حادة و نحيبها

صحيح . فانني أيضا خائف جدا لذلك لا اعتمد على هذه المقتنيات قد تساعدنا في يوما الا انها لو غضبت من أيديها سوف يتحول كل شيء الى التراب . قال الشاه مرة أخرى

لم يكن لدى زوجته طموح آخر. فكل شيء كان متوقفا على الوقت، و كان الوقت سائرا بعد سنوات. خاصة كلما كان القدر يحترف من حاله عليها كأنه متدفق إلى سعته لتصاف مضاعفة مدها. فكان يملك دكانا صغيرا في سوق صغير قبل ذلك، و الآن هو صاحب محل كبير للسلع الشعبية في أكبر سوق في المدينة، و إضافة إلى ذلك كان المبنى كله ملكا له. فكان يسكن فيه الناس المستأجرون من ذوي الجاه و المال، و لم تكن تتركه زوجته الغرفة الكائنة تحت مستوى الأرض في منزلها.

مرت سنوات عديدة. لما قالت له زوجته يوما و هي تقفل الصندوق الحديدي: عليك أن تتركها في الفندق أو تبني لها التاج محل. على أي حال جمع الله الفارح في الخارج و لا تحضرها إلى بيتي. فإنني لن أنسى أمامها

خاصة لم تنظر زوجته وجه اللقيطة حتى الآن، و لما قالت هذا الكلام كان ابنهما يتعلم في المدرسة، و الآن هو صالح للزواج. و لكن لم تسمح زوجته لأحد لا باعتبار لسطولاتها إلى محلها، و لا يذكر اسمها. إلا أن أبناءهما كانوا قد سمعوا أقاصيصها في حكايات عديدة، و سمعوا اسمها من أفواه عديدة

كانت هناك استعدادات لزواج الابن الكبير. فكان العاملون مشغولين به أربعة شهور في بيت الخالة، فواحد يرسي الطلبة و الثاني يطور الحصير و الثالث اللابس الآخر، و كانت يد زوجة الخالة تطوي بالمال. فتخرج كيس الروبيات و تفتحه ثم تذهب به إلى جيبيهما لتملأه مرة أخرى.

أصر أصدقاء القاضي و أقرباؤه على أن تمضي اللقيطة في هذه المناسبة إلا أنهم اختاروا أسلوبا لا يزعج القاضي. فقالوا إن لديه مصاهرة و اتصالات عديدة. أدع لها واحدا منهم، و لكن اللقيطة لن تأتي لتلقى القاضي في هذه المناسبة و تمضي في الحفل و لو أسبوعا واحدا.

لم يكن الفندق الذي فيه اللقيطة مثل الفنادق العامة الأخرى. فكان معظم النزلاء هناك من الإنجليز، و كانت فيه شقق ذات حجرة و حجرتين و ثلاث حجرات. و كانت اللقيطة تسكن في شقة من حجرات. كان في نيته القاضي أن يلاحظ أقرباءه و أصدقاءه يوما ليطلعهم بعدها حقيقة الحال

لكن قال له أقرباؤه: أما الذهاب إلى ذلك المكان في الفندق خاصة من حالة فقط هل القضاء لك هذا الجيل ذلك طوال هذه المدة الطويلة... نحن لا نريد أن نعرف اسم ذلك المكان لأنه يختص بك. إنما نريد أن تزيد بهجة الاحتفال بمناسبة زواج ابن... فلتدعها إلى بيتك و بيت زوجة أخيها مثل عامة رجال العائلات

استحسن القاضي هذا الكلام، لأنه لم يكن يريد أن يعطي أقرباءه الطريق إلى... مع أنه قد بلغه أن يحضر لها الذكريات بدأوا يرجعون إلى حكمتها و أيضا أنه كان يريد أن تشاهد... حفلة ابنه و زوجته، إلا أنه كان يخشى من زوجته فلم يقل شيئا أمام أقربائه

تجرأ أحد من أقرانه على الذهاب إلى زوجته و قالوا لها : ألا يليق بي يا سيدتي حفلة نقيمها بمناسبة زواج ابنك ؟ نحن قد عزمنا على أن نكمل كل أفراحنا و قد قرر الجميع على إقامة حفلة شعبية ليلة صبيحة عرسه

الكلام معقول. قالت زوجة الشاه لكن أما قد جربت بيوت الآلاف !

لكن الجميع مسلمين ! لم تلاحظ بعلم منكم أموالا طائلة كي ماذا أصرفها ليوم واحد فقط أستطرب و سوف تتم الأفراح بمناسبة زواج ابني و لا يضيع المال أيضا

رفضت زوجة الشاه في أول الأمر و قالت و هي تتلعثم و تتعصب

لا أريد أن أستحي أمام تلك الشعبية فيرآها الآخرون و يقولون ليس هنا صاحبة الأمر و النهي و إنها سوف تأتي مثل الجارية و تكون تحت أمرك و تريد الأفراح بمناسبة زواج ابنك و تأتي هنا كما يأتي الخدام الآخرون

أعجبت السيدة بهذا الكلام المعسول و فضلا عن هذا كانت هي أيضا مشتاقة إلى رؤيتها مرة للتعرف كيف هي. فإنها لم ترها أبدا فلو رأت أنها جالسة في عرسها شر بالذهبية فحسب أنها هي

فيمكن أن أراها أيضا مرة. فكرت في نفسها أنها قد أخرجت من قصرها ما كانت تستطيع الاحتراز فماذا تفعل أكثر من ذلك فلا أرى من تلك الملعونة

وافقت زوجة الشاه على شرط ! لا يكون هناك طرب و لا كباب بل يكون الغناء فقط و تغني كما تغني في بيوت الناس الطمس و تسمح لكم الرجال أيضا بالجلوس فلتأت هي و تغني الأغاني متلهفة و معجب من هنا و أنا سوف أعطيها نفس البقشيش كما أعطيها لغيرها من القصاب المطربات لأيام فرحة الزواج

هذا ما نريده نحن أيضا يا سيدتي قالوا الأصدقاء و قالوا ليس الست إلا رضا أنس مقامك و إلا فلا سيدتنا لا يعلمه أحد

حضرت القينة و كانت زوجة الشاه قد هيأت لها مركبا يجر حصان كان الجيب مكسوا بالشيرف و كانت الفرش مفروشة بالأرضية البيضاء و في وسطها طبل ترك الغناء ينادي لسرور عرسه العريس و تقف العربة أمام باب البيت فيصعد و يعلى الغناء إلى رواق مختلفة

كلنا نحزن من الغناء صاحت السيدة ! لكن كان سرها عظيما كان بجوهرها وقع على قلبها

صعدت القينة على السلالم حتى وصلت إلى الباب و حينما أرادت زوجها الشاه أن تنظر إليها أمسكت بطرف ساريها الوردي اللون كأنها تستحي و ساريها في هذه اللحظة كانت اللمعة في حلة حريرها مزركشا أخضرا و كان اللون الأخضر يعكس عكسا عظيما على كل شيء حتى بدا لزوجة الشاه

أن اللون الأخضر قد انتشر في كل مكان

رنت الأسورة الزجاجية خضراء اللون رأت زوجة الخال أن بها خطواته جميلة تمشي حبيبها متجهة لتسلم عليها ثم صاحبتها صوت رقيق مبروك ما سيجيئ - مبروك جدا

كانت جميلة ناعمة ناعمة الملمس لطيفة الجسم فلما اقتربت اليها من مجلس محكما على وسادة الجلوس بدت لها أن مختلة بدنها صغير وصغيرة

كان الخال جالسا جالسا في ناحية من الحجرة مع أقرانه و بعض الأقارب فرأت ذلك الحسن الى تلك الناحية أيضا و سلمت مرة أخرى ثم جلست متدللة و هي متجهة الى الوسادة رنت الأسور الزجاجية مرة أخرى عند جلوسها فرأت زوجة الخال مرة أخرى الى ذراعيها و أسورتها الزجاجية الخضراء ثم أخذت تنظر الى أسورة يدها الذهبية

بحرت العيون كل الناظرين بدأ كل واحد ينظر الى ناحية واحدة حتى عيون زوجة الخال أيضا و لكنها ابتسمت و غضبت على كل العيون عندما عينها

ثم أرادت أن تقول مرة أخرى للنساء للاستمرار في أغنية الزواج و لكن صوتها احتبس في حلقومها و لعل أصوات الأجراس أيضا قد احتبست في الحلقوم فساد الصمت في الحجرة بدأت القينة تنظر الى الطفل الموضوع في وسط الغرفة و أرادت أن تعرب بحبه فقطعت الصمت من ساد الصمت مسببها فقالت لها أعطي قبل كل واحد أغنية الزواج و أغني الولد ما رأيك يا سيدتي ؟ ثم رأت الى زوجة الخال و بدأت تغني أغنية الزواج باسمة

مبروك للأم السعيدة في هذا الموسم الجميل البهيج الذي يتساقط فيه الطرب المطر لتهنئ الأم الزوجة السعيدة و زوجها

إطمأنت زوجة الخال قليلا لأنها كانت هي الأم الوحيدة بين المستمعين و زوجها أيضا كان لها فقط جلست الأم أمام من كتب تغني أغنية المهنئة للولد

فلما انتهت الأغنية عاد التكلم مرة أخرى إلى الغرفة و طلبت النساء أغنية و الرجال طلبوا أغنية أخرى

لم تنتبه القينة الى طلب الرجال كأنها لم تسمعه و جذبت الطفل إليها و أجلسته بركبتها تعجبت زوجة الخال على ذلك لأن القينة تستجيب لطلب النساء أولا بدلا من أن تستجيب لطلب الرجال ما كانت هناك معرفة بعض النساء بين الضيوف من هي فسألت واحدة لها في قيمة الخال كان جواب الإمرأة بصوت خفيف جدا مثل الهمس و لكن مع ذلك اصطدم صوتها بأذن زوجة الخال قيمة الخال قيمة الخال فظهر الحزن على وجهها

أثناء ذلك ارتفع صوت الطفل و الخال ليرى الابن السعيد على مكانة المركب

لم تستجب الطبيعة للأماني كما كانت تشتهي أصحابها، حتى بدأ الصبية أخرى كانت الطبيعة تستجيب لطلبات النساء أحيانا و أحيانا لطلبات الرجال مع قوانها أثناء ذلك ليظهر أحد أمر أنها حتى لتستريح قليلا و لكن من كانت قبة الجولة و من كان يستطيع أن ينافسها في ذلك مع أنها كانت تحاول ذلك إلا أنها كانت تواصل أمانيها بدون توقف.

و تحاول الأماني لما قالت الطبيعة: اسمعي يا سيدي ليحترق الناظرون بنزوة وجهك. أحترق قلب الجو و ساد الصمت و السكون في كل الجهات. أصبح الناس الجالسون في الغرفة جامدين بلا حراك. ثم اضطرب وجهه من أخرى و أصبحت النظر في وجه الشا. و كان الشاه أيضا قد صار جامدا مثل الآخرين

تهيج قلب الزوجة و رأت أنه لو ضاع هذا الوقت فسوف تصبح في مجرأ للأبد فلتعمل شيئا و لابد من العمل شيئا حتى لا تصبح مثالا

ماضر الليل كثيرا و كاد الطفل أن يبتسم و أراد الزوجة أن تروح اليوم العادة بنفس الطريقة كما يروحها الناس الآخرون في هذ المناسبة و لكن لما ابتعد الشا لحضر الشاي و الحلوى من أصناف عديدة في الغرفة

فأدارت زوجة الشاه يدها حول رأس ابنها و حيها ورقة نقدية من فئة مائة روبية ثم قدمتها إلى التي كانت تمسك قبعة الشا

استلمي بها مثل يا سيدتي. فابني سوف بعد مثله الكبير في المستقبل لهاوية القلبة مع جيشك و كانت ضحكتها مثلا مثل جمالها

تغير لون وجه الزوجة و بدا لها أن ساعة الخلد قد يصب اليوم في ربط قراحها أمام المسح في حضور الشا و لكنها تمالكت و استرت قولها و عزمت على ألا تنهزم اليوم فأطلقت ضحكة عالية و قالت و هي تمسك الورقة النقدية

إنه سوف يتخلص من الشا الكبير

و لكن متى فأنتظر من متى بعد الآن ... فتحدى اليوم

ثقلت قبعة الشاه ورقة مائة روبية و غابت قبعة و اصفر لون سارى زوجة الشا الوردي في الغرفة

تعريب: سراج الحسن

استعراض الكتب

اسم الكتاب : ملحمة الهند الكبرى المهابهارتا

الناشر : عبـــد الإلـــه المـــلاح

عرض : (الدكتور/ شميم الحسن امامة الله)

(الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي
الهـــــــند

بين أيدينا ترجمة رائعة لكتاب من كتب التراث الهندي القديم و هو المهابهارتا ملحمة الهند الكبرى ذلك لأنها تضم خزانة كاملة من أساطير الهند و ديانتها و قد قال عن هذا الكتاب الفيلسوف الهندي العظيم الدكتور رادهاكرشنان إنه أعظم عمل أسجمه أسا و يقول جواهر لال نهرو إنه عمل شامخ – موسوعة للأعراف و التقاليد و الأساطير ... عصري عن أنواع الفكر الأسمى المليئة بالحياة المزهرة الغنية المتدفقة بقرار)

صدر الكتاب في نحو ٦٦٨ صفحة من القطع الكبير و قامت بنشره مكتبة الأسد في دمشق

المهابهارتا هي إحدى الملحمتين في الهند القديمة أما الأخرى فهي الراماينا و هي مستمدة قصتها من حكاية أسطورية وردت في ثنايا المهابهارتا

المهابهارتا في الواقع مجموعة من القصائد تحكمها قصة واحدة ، و هي الملحمة التي تصور الحروب التي نشبت بين فرعي أسرة بهارات (الباندو و كورو) و هي ملحمة ما انقطع الناس عن ترديدها عبر القرون و ما

زال هذا الهند يهم بعد ثلاثين قرناً أو عشرة حتى غدت عصور وروحهم و أفكارهم و يرسم لهم عالم القيم و المثل.

تبلغ المهابهاراتا في ضخامة ألف بيت من الشعر المزدوج فهي تبلغ إذن سبعة أضعاف الإلياذة و الأوديسة مجتمعتين و تكاد تبلغ مجلدات معجم الشاهنامة و يقول المترجم عن هذا الكتاب في مقدمة ترجمته

إننا لا نعلم على وجه اليقين التاريخ الذي وضعت فيه المهابهاراتا و لكن المرجح من إشاراته في النص أنها تعود إلى ألف سنة قبل الميلاد و قد ترجع إلى خمسمائة سنة أخرى قبل هذا التاريخ و مما لا ريب فيه أن الملحمة اكتسبت في صياغتها الأكثر بساطة و المقتصرة على رواية قصة آل بهاراتا و الحرب التي قامت بين مجموعتين من هذه القبيلة مدخلاً يعرض للعقائد الدينية القديمة ثم لحقت بها إضافات كثيرة في العصور اللاحقة و من ذلك سفر "البهاجافاد جيتا" التي تعود إلى عصر متأخر

و لقد تخلصت تلك القصة البسيطة في حبكتها و أضيفت إليها حكايات دينية و أساطير و ما عرض للهند من عقائد و فلسفات و ديانات و بامتداد الزمن ... و رأت فيها الموروثة و البوذية إلى الهندوسية و كان أن أثر هذا المزيج مع تحول عقيدتها ... الصوفية ... من سعيها إلى ... و مهما يكن الأمر فقد كان أثر المهابهاراتا على الفكر الهندي و المجتمع الهندي قوياً بل تجاوز حدود الهند إلى سواها من الأقطار. إن هذا الوصف صحيح و دقيق

يقال أن المهابهاراتا قد جمعه و رتبه فياسا في ١٨ سجلاً كبيراً و هي الشخصية الأسطورية التي تنسب إليه جمع أسفار الفيدا أو الحكمة

إن الآريين في الهند قبل أن ينقسموا إلى طوائف حسب طريقة ... ينتسبون إما إلى نسل الشمس Surya-Vamsa أو إلى نسل القمر Chandra-Vamsa و النسل الشمسي الذي حكم أيودهيا كان أكثر شهرة و راما الوارد ذكره في الرامايانا هو بطله الأكبر و المهابهاراتا هي قصة حرب ... طويلة بين أبناء كورو و باندو المنحدرين من بهاراتا من ... سلف فرع النسل القمري

و من عجيب تسميته بالمهابهاراتا يقال إن الآلهة وضعت مرة المهابهاراتا في كفة و الفيدا في كفة أخرى فلما ... كانت راجحة فمنذ ذلك الوقت سميت بهذا الاسم و هو يعني الوزن الأكبر

و يقول الهنود إن قراءة المهابهاراتا يقضي على كل الذنوب حتى أن ...

وانحنا حتى يتجلى إرادة كل الأمام.

و خلاصة القول أن المهابهاراتا تنضح في روحها بجمال قصائدها التي بثت الرعب في قلوب مشاهديها بجلالها و حماسها

أما شكل الكتاب المترجم فنستطيع أن نوجز المعالم الكبرى فيه على النحو التالي

أولا: الكتاب مزين باللوحات الموضحة الفنية الملونة الجميلة المرسومة في عصور مختلفة و كلها متعلق بالأساطير الواردة في الكتاب. و إن لوحة الغلاف عبارة عن عربة مصورة يحتل عربة البطل أرجونا سائقها الإله كريشنا

ثانيا: الترجمة و الإخراج فيقول المترجم: لقد حرصت على أن تصدر هذه الملحمة لتهب للعصر و الروح التي أبدعته، و أن يأتي العمل في سياق عربي الروح قدر ما يتيسر لي ذلك. ثم أضفت ملحقا للتعريف بالأسماء و للمصطلحات الفلسفية الهندية

هكذا نرى أن الكتاب قد خرج بشكل رائع جذاب و يتبوأ محلا لائقا في المكتبة العربية

بريـــد القُــــرّاء

السيد عبد [illegible]
شارع عيسى مسعودي
العامرة (ولاية عين الدفلى ـ 44)
الجمهورية الجزائرية

ويسعدني أن أكتب لكم هذه الرسالة بعدما أتيحت لي الفرصة للإطلاع على أحد أعداد المجلة التي يحررها مجلسكم و التي عنوانها "ثقافة الهند" باللغة العربية، فأعجبت بمواضيعها التي حررها طابع البحث العلمي للموضوع مما يزيدها أهمية لمعرفة ثقافة بلدكم العريقة، و بحكم اهتمامي بمثل هذه المجالات و قد رأيت بأن هذه المجلة أي "ثقافة الهند" و الأخرى بالفرنسية "Rencontre avec l' Inde" تفتح مجالا للدارسين في ذلك، فإنني أطلب منكم علمي للبحث بانتظام حتى أتمكن من إثراء معرفتي و ثقافتي و أخبركم بأنني طالب بقسم الماجستير بمعهد علم المكتبات و التوثيق بجامعة الجزائر (الجمهورية الجزائرية) و أحضر موضوعا حول مخطوطات الزاوية الجزائرية بالمكتبة الوطنية الجزائرية "فهرس قائمات: دراسة تحليلية" و كذلك أعمل بالمكتبة الوطنية الجزائرية بقسم المخطوطات، و لهذا فإنني بحاجة إلى عدد من فهارس المخطوطات العربية التي أطلب منها نسخا للإطلاع بها في بحثي إلى جانب تراجم المخطوطات المطبوعة و المحققة و هذا لاستكمال عناصر البحث.

و في الأخير تقبلوا مني سيادتكم فائق التقدير و الاحترام و أتمنى لكم النجاح في مهمتكم الثقافية و تألقا في مواصلة العمل

محمد شلال
ص ب ١ ١٨
حلب / سوريه

من دواعي سروري و اعتزازي أن أبعث إلى مجلتكم برسالتي الأولى لأنقل إليكم عبر كلماتها القليلة مشاعري الصادقة و احترامي العميق لما تقومون به من جهود مشكورة في سبيل تعريف القارئ العربي بتاريخ بلادكم و تراثها العظيم و بسبل تطورها التاريخي و الثقافي و الاجتماعي .

لقد اطلعت مؤخراً و عبر أحد الأصدقاء على أحد أعداد مجلتكم و قد هالني فعلاً ما قرأت فيها من أبحاث رصينة و رائعة تحققت حول الهند عامة و صلتها بالعالم العربي خاصة مما يتيح للقراء و المثقفين العرب الاطلاع على سجل فكري هام يفيدهم في دراساتهم و أبحاثهم علماً بأني شخصياً عاكف على إعداد دراسة حول تطور العلاقات الهندية العربية في العصور المملوكية العثمانية سيما و أني أحضر لمرحلة الدبلوم في الدراسات العربية و الإسلامية تخصص تاريخ

لذا و رغبة مني في معرفة المزيد عن مواضيعكم و أبحاثكم الشيقة يرجى اعتباري مشتركاً نظامياً لديكم مع موافقتكم طبعاً و أن ترسلوا لي العدد باستمرار على عنواني المدون أعلاه

و أخيراً لا يسعني إلا أن أشد على أياديكم و أشكر سلفاً جهودكم الجبارة في سبيل توثيق العلاقات الهندية العربية نحو الأفضل متمنياً لكم و لأسرة تحرير مجلتكم و للشعب الهندي الصديق دوام التقدم و الازدهار

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته